اليهود والمتهودون .. واللعنة والغضب!!

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

دعاة على أبواب جهنم!!

الشيخ أبو بكر الجزائرى:
أطالب قادة الأمة بالإجتماع فى المدينة المنورة ومبايعة إمام للمسلمين

حدود الحرم والأعلام المحيطة به

السنة السادسة والعشرون، العدد الرابع، ربيع الآخر ١٤١٨هـ الثمن ٧٥ قرشا

بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد

صاحبة الامتياز جماعة أنصار السنة المحمدية
المركز العام القاهرة ٨ شارع قوله - عابدين
هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

مجلة
إسلامية
ثقافية
شهرية

التحرير
٨ شارع قوله
عابدين القاهرة
ت ٣٩٣٦٥١٧
فاكس ٣٩٣٠٦٦٢

في هذا العدد

الافتتاحية : الرئيس العام : (حماية اللّه وعصمته لنبيه ﷺ) ٢
كلمة التحرير : رئيس التحرير : (دعاة على أبواب جهنم) ٦
التفسير : الشيخ / عبد العظيم بدوي (استجيبوا للّه ولرسول) ١٠
باب السنة : الرئيس العام : (آداب في التسمية) ١٤
موضوع العدد : د / عبد الملك بن دهيش (حدود الحرم) ٢٠
تحقيقات التوحيد : جمال سعد حاتم
(حوار التوحيد مع الشيخ أبو بكر الجزائري) ٢٦
أسئلة القراء عن الأحاديث : الشيخ أبو إسحاق الحويني ٣٢
الفتاوى : يجيب عليها الشيخ / صالح الفوزان ٣٦
عقائد الصوفية : أ / محمود المراكبي ٤١
اليهود والمتهودون واللعنة والغضب: الشيخ مصطفى درويش ٤٧
السيرة : الشيخ / عبد الرازق السيد عيد
﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل ﴾ ٥٠
من روائع الماضي : فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي ٥٢
العقيدة : أ . د / سعيد مراد (المعتزلة) ٥٦
احذروا الفتنة فإنها منتنة : الشيخ / عبده الأقرع ٦١

التوزيع في الخارج : مكتبة المؤيد بالرياض .
التوزيع الداخلي : مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة .

رئيس التحرير
صفوت الشوادفي

سكرتير التحرير
جمال سعد حاتم

المشرف الفني
حسين عطا القراط

اقرأ في العدد القادم
(إن شاء الله):

التوحيد

- الإنسان ضعيف

الرئيس العام

محمد صفوت نور الدين

- اتباع الرسول الأمين
هو عنوان محبة رب العالمين

فضيلة الشيخ عبد العظيم بدوي

مع القراء

الجرائد اليومية بها آيات قرآنية، وأحاديث نبوية. ومع هذا فإن كثيراً من المسلمين يتخذها فراشًا لطعامه وشرابه!!

وبعضهم يستعملها في البيع والشراء! وآخرون يجعلونها تحت أقدامهم أو رؤوسهم، وغير ذلك كثير مما شاع وأنتشر حتى أصبح عادة مستقرة. ومن يفعل ذلك فإنه يهين هذه النصوص الشرعية، وفيها أسماء الله الحسنى، وان كان في الحقيقة لا يتعمد ذلك ولا يحدث نفسه به، لكنه شأن المنكر عندما يستقر في المجتمع يصبح عادة، وقد يصير عبادة !!

والذي ينبغي نحو هذه الجرائد - بعد قراءتها - هو حرقها أو دفنها مع بذل النصيحة للمسلمين خصوصا من الأئمة والخطباء والدعاة والعلماء نحو هذه القضية الخطيرة. والله أعلم

رئيس التحرير

الاشتراك السنوي
١ - في الداخل ١٠ جنيهات (بحوالة بريدية باسم مجلة التوحيد على مكتب عابدين) .
٢ - في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالاً سعودياً أو ما يعادلهما .
ترسل القيمة بحوالة بريدية على مكتب عابدين أو بنك فيصل الإسلامي المصري فرع القاهرة باسم مجلة التوحيد أنصار السنة المحمدية (حساب رقم / ١٩١٥٩٠)

ثمن النسخة
السعودية ٦ ريالات - الإمارات ٦ دراهم - الكويت ٥٠٠ فلس -
المغرب دولار أمريكي - الأردن ٥٠٠ فلس - السودان ١٫٥٠ جنيه
مصري - العراق ٧٥٠ فلس - قطر ٦ ريالات - مصر ٧٥ قرشاً -
عمان نصف ريال عماني .

حماية الله وعصمته لنبيه ﷺ

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من أوجب الله على الخلق محبته وتوقيره وإعلاء شأنه .. وبعد :

فإن لشيخ الإسلام ابن تيمية كتابًا قيمًا سماه « الصارم المسلول على شاتم الرسول » ، ألفه شيخ الإسلام بعد حادث وقع في أيامه ، فرأى أن أدنى ما للرسول صلى الله عليه وسلم من حق أن يذكر شرع الله في عقوبة الساب إن كان مسلمًا أو كافرًا ، والكتاب جمع فيه الأدلة من القرآن والسنة وأقوال الصحابة والأئمة ، وذكر من القياس ما يدلل ويعلل به الأحكام التي وصل إليها ، والكتاب فريد في بابه ، عظيم في نظمه ، بسط الأمر فأغنى عن كثير من جهود غيره ، فما أحوجنا اليوم في عصر كثرت فيه الفتن ، وانتهكت المحارم ، إلى تدبر وتدارس ونشر ذلك الكتاب بين الناس وتعلمه وتعليمه .

فمن عبارات الكتاب ؛ يقول شيخ الإسلام : حدثنا أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عما جربوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا قالوا : كنا نحن نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر ، وهو ممتنع علينا ، حتى نكاد نيأس ، إذ تعرض أهله لسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والوقيعة في عرضه ، فعجلنا فتحه وتيسر ، ولم يكد يتأخر إلاَّ يومًا أو يومين أو نحو ذلك ، ثم يفتح المكان عنوة ويكون فيه ملحمة عظيمة ، قالوا : حتى إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظًا عليهم بما قالوه فيه .

وقد جاء في أول الكتاب قوله : إن من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم أو كافر فإنه يجب قتله ، هذا مذهب عامة أهل العلم ، ثم أخذ في سرد القائلين بهذا الحكم من أهل العلم ، يؤيد بذلك أن الأمة أجمعت على قتل من تنقص النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين ، وأنه يكفر بذلك ، أما هذا الساب أو المتنقص له صلى الله عليه وسلم إن كان ذميًا فجمهور أهل العلم على قتله وانتقاض عهده ، ثم أخذ شيخ الإسلام ، رحمه الله ، في سرد الأدلة ذكر منها :

فضيلة الشيخ / محمد صفوت نور الدين

☐ من سب النبي ﷺ من مسلم أو كافر فإنه يجب قتله .

☐ أجمعت الأمة على قتل من تنقص النبي ﷺ من المسلمين وأنه يكفر بذلك ، وإن كان ذميًا فجمهور أهل العلم على قتله وانتقاض عهده .

أولاً أدلة من القرآن الكريم :

جاء فيها بآيات من القرآن بسطها وشرحها ، كان منها آيات سورة « التوبة » التي جاء فيها : ﴿ وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ۞ ألا تقاتلون قومًا نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فاللّه أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ۞ قاتلوهم يعذبهم اللّه بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ۞ ويذهب غيظ قلوبهم ﴾ [التوبة : ١٢-١٥] ، وقوله تعالى : ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون باللّه ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم اللّه ورسوله ولا يدينون دين الحق ﴾ [التوبة : ٢٩] ، وقوله تعالى : ﴿ ألم يعلموا أنه من يحادد اللّه ورسوله فإن له نار جهنم خالدًا فيها ذلك الخزي العظيم ﴾ [التوبة : ٦٣] .

وذكر الكثير من آيات القرآن ، وبسط موضع الشاهد في كل موقع مع ذكر فوائد جليلة ، ثم انتقل الشيخ ، رحمه اللّه تعالى ، لذكر الأدلة من السنة على ذلك ؛ كان منها :

۞ **أولاً** : حديث الشعبي عن علي أن يهودية كانت تشتم النبي صلى اللّه عليه وسلم ، وتقع فيه ، فخنقها رجل حتى ماتت ، فأهدر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم دمها ، والحديث رواه أبو داود .

۞ **ثانيًا** : حديث أبي داود والنسائي عن ابن عباس ، رضي اللّه عنهما ، أن أعمى كانت له أم ولد(١) تشتم النبي صلى اللّه عليه وسلم وتقع فيه ، فينهاها ويزجرها ، فلا تنتهي ولا تنزجر ، فلما

---

(١) أم الولد : الأمة المملوكة التي أنجبت من سيدها ، وحكمها أن تبقى في رقها ، ولكن لا تباع ولا تشترى .

كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى اللّه عليه وسلم وتشتمه ، فوضع المغول في بطنها واتكأ عليه حتى قتلها ، فلما بلغ ذلك رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : « ألا اشهدوا أن دمها هدر » .

* **ثالثًا** : حديث البخاري ومسلم في قصة كعب بن الأشرف الذي كان يؤذي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فقتله محمد بن مسلمة بأمر النبي صلى اللّه عليه وسلم .

* **رابعًا** : حديث علي بن أبي طالب ، رضي اللّه عنه ، مرفوعًا : « من سب نبيًّا قُتل ، ومن سب أصحابه جُلد »(٢) .

* **خامسًا** : حديث أبي داود عن أبي برزة قال : كنت عند أبي بكر ، رضي اللّه عنه ، فتغيظ على رجل ، فاشتد عليه ، فقلت : ائذن لي يا خليفة رسول اللّه أضرب عنقه ، قال : فأذهبت كلمتي غضبه ، فقام فدخل فأرسل إليَّ فقال : ما الذي قلت آنفًا ؟ قلت : ائذن لي أضرب عنقه ، فقال : أكنت فاعلاً لو أمرتك ؟ قلت : نعم ، قال : لا واللّه ما كانت لبشر بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم .

* **سادسًا** : قصة العصماء بنت مروان – امرأة من خطمة هَجَت النبي صلى اللّه عليه وسلم – فقال : « من لي بها ؟ » . فقال رجل من قومها : أنا يا رسول اللّه ، فنهض فقتلها ، فأخبر النبي صلى اللّه عليه وسلم فقال : « لا ينتطح فيها عنزان » .

* **سابعًا** : قصة أبي عفك اليهودي ، شيخ من بني عمرو بن عوف بلغ مائة وعشرين سنة ، ذكر قصيدة هجا فيها النبي صلى اللّه عليه وسلم ، فقال سالم بن عمير : عليَّ نذر أن أقتله أو أموت دونه ، فطلب له غرة ، فوضع السيف على كبده فقتله .

قال شيخ الإسلام : فيه دليل على أن المعاهد إذا أظهر السب ينقض عهده ويقتل غيلة .

* **ثالثًا** : حديث أنس بن زنيم الديلي لما هجا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وبلغه ذلك ، وكان من بني بكر الذين دخلوا في عقد قريش من صلح الحديبية ، فأهدر النبي صلى اللّه عليه وسلم دمه ، فلما جاء معتذرًا طالبًا العفو ، عفا النبي صلى اللّه عليه وسلم عنه ، ولا يقع العفو إلا عن مستحق للعقوبة .

* تاسعًا : حديث عبد اللّه بن أبي السرح ، وكان كاتبًا للنبي صلى اللّه عليه وسلم ، ثم ارتد ، وزعم أنه كان يراجع النبي صلى اللّه عليه وسلم في الوحي فيوافقه عليه ، وزعم أنه سينزل مثل ما أنزل اللّه ، فأهدر النبي صلى اللّه عليه وسلم دمه في فتح مكة ضمن أربعة ، وقد أمّن سائر الناس ، فجاء عثمان ، رضي اللّه عنه ، بابن أبي السرح ، وكان أخًا له من الرضاع ، وسأل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أن يبايعه ، وكرر سؤاله ثلاث مرات ، والرسول صلى اللّه عليه وسلم لا يجيبه وجمع من

---

(٢) موضوع . انظر « السلسلة الضعيفة » (رقم ٢٠٦)

الصحابة يحضرون فيهم أنصاري كان قد نذر أن يقتل ابن أبي السرح ، فلما أكثر عثمان من طلب البيعة والعفو بايعه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وعفا عنه ، فلما خرج قال النبي صلى اللّه عليه وسلم للأنصاري : « أما كان رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله » ، فقالوا : ما ندري يا رسول اللّه ما في نفسك ، ألا أومأت إلينا بعينك ، قال : « إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة أعين » . والحديث أخرجه أبو داود بسند صحيح .

- **عاشرًا** : ما أخرجه البخاري ومسلم من قصة النصراني الذي أسلم وقرأ « البقرة » و« آل عمران » ، وكان يكتب للنبي صلى اللّه عليه وسلم ، ثم ارتد وتنصر وهرب ولحق بأهل الكتاب فرفعوه وقالوا : كان يكتب لمحمد ، فأُعجبوا به ، فما لبث أن قصم اللّه عنقه ، فحفروا له حفرة فواروه ، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ، ثم عادوا فحفروا له فواروه ، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ، فتركوه منبوذًا .

فمثل هذا الذي ارتد يوجد ريبة في القلوب المريضة ، يقول قائل : كاتبه أعلم الناس بباطنه وحقيقة أمره ، وقد أخبر عنه بما أخبر ، فكان من نصر اللّه لرسوله صلى اللّه عليه وسلم أن أظهر فيه آية تبين بها أنه مفترٍ .

- **حادي عشر** : ما كان من شأن جاريتين لابن خطل ، وكانتا تغنيان بهجاء النبي صلى اللّه عليه وسلم ، فأمر بقتلهما فقتلت إحداهما وكمنت الأخرى حتى استؤمن لها ، ذلك مع أنه صلى اللّه عليه وسلم كان ينهى عن قتل النساء والصبيان في الغزوات ، فكأن ذلك القتل إنما هو جزاء السب .

- **ثاني عشر** : إهدار النبي صلى اللّه عليه وسلم لدم ابن خطل ، فأدركه أبو برزة فقتله وهو متعلق بأستار الكعبة ، وساق شيخ الإسلام ، رحمه اللّه ، أدلة كثيرة ، ثم قال : إن الذمي إذا سب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فقد صدر منه فعل تضمن أمرين :

  - **أحدهما** : انتقاض العهد الذي بيننا وبينه .
  - **والثاني** : جناية على عرض الرسول صلى اللّه عليه وسلم وانتهاكه حرمته وإيذاء اللّه ورسوله والمؤمنين وطعنه في الدين ، وهذا معنى زائد على مجرد كونه كافرًا قد نقض العهد ، واللّه يقول : ﴿ إن الذين يؤذون اللّه ورسوله لعنهم اللّه في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابًا مهينًا ﴾ [الأحزاب : ٥٧] .

هذا ؛ والكتاب يوضح حماية اللّه وعصمته لنبيه صلى اللّه عليه وسلم الشرعية والقدرية في حياته وبعد موته ، وواجب المسلمين نحوه ، فالكتاب كما سماه شيخ الإسلام ، رحمه اللّه ، سيف صارم بتار مرفوع مسلول على من تنقص الرسول صلى اللّه عليه وسلم ، يحمله من حمله فيضرب به ضرب سيف صارم ، يعين المجاهد على جهاده ويردع المنافق عن إظهار نفاقه ، فجزى اللّه شيخ الإسلام خير الجزاء على مصنفاته وجهاده ، وأعان اللّه المسلمين على حماية حرمات الإسلام والمسلمين ، وفقهنا اللّه في ديننا ، ورد من ضل منا إلى صوابه ورشده . اللهم آمين .

كلمة التحرير

يكتبها

رئيس التحرير
صفوت الشوادفي

دعـاة علـى

الحمد للّه ، والصلاة والسلام على رسول اللّه .. وبعد :

فقد روى البخاري في « صحيحه » بسنده إلى حذيفة بن اليمان ، رضي اللّه عنه ، أنه قال : كان الناس يسألون رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر !! مخافة أن يدركني !! فقلت : يا رسول ، إنّا كنّا في جاهلية وشر ، فجاءنا اللّه بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : « نعم » ، قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : « نعم ؛ وفيه دخن » !! قلت : وما دخنه ؟ قال : « قوم يهدون بغير هديي ؛ تعرف منهم وتنكر » . قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : « نعم ؛ دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها » ، قلت : يا رسول اللّه ، صفهم لنا ؟ قال : « هم من جلدتنا ؛ ويتكلمون بألسنتنا » . قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » ، قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : « فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت ، وأنت على ذلك » !!

هذا الحديث رواه البخاري في كتاب الفتن ؛ وإنه ليحدثنا حديثًا عجيبًا غريبًا عن واقعنا الذي نعيشه ؛ وما فيه من الفتن والبلاء ، حتى كأن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بين أظهرنا يصف الداء والدواء ، ويرشد إلى المخرج من البلاء .

وأول ما يلفت النظر ؛ هو سؤال حذيفة ، رضي اللّه عنه ، عن الشر دون من سواه ؛ فالصحابة يسألون عن الخير وما يتعلق به ، وحذيفة ، رضي اللّه عنه ، يسأل – وحده – عن الشر ، ونحن نرى أن اللّه قد أنطقه بهذا الحوار ، وألهمه هذه الأسئلة رحمة من اللّه بهذه الأمة !! فبدون هذا الحوار يمكن أن يلتبس الخير بالشر ، ويعجز المسلم عن التفريق بينهما أو يكاد !!

وبدون هذا الحوار لا يهتدي المسلم إلى المخرج من الفتن ، ولا يدري ماذا يفعل إذا أدركه زمانها !!

أبواب جهنم

وحذيفة ، رضي اللّه عنه ، يخبرنا أنه يسأل عن الشر مخافة أن يدركه ، وهو أمر لا ينقضي منه العجب ؛ لأنّ حذيفة ، رضي اللّه عنه ، يخشى من الشر ، وهو يعيش في زمان النبوة ومكانها ! بينما أكثر الناس في عالم اليوم لا يفكرون في هذا ؛ مع أن الشر قد أحاط بهم ، وأحاطوا به .

وحذيفة ، رضي اللّه عنه ، يشعر بنعمة الهداية ، ويخاف من زوالها وتحويلها ، فيسأل : هل بعد هذا الخير من شر ؟ ويتابع الحوار فيظهر لنا من حواره أن الخير في عصر النبوة كان خيرًا خالصًا صافيًا نقيًا ، وأنه سيعقبه شر ، ثم يعقب ذلك الشر خير ناقص فيه دخن ؛ أي شوائب ، وهذه الشوائب قد بينها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بأنها : قوم يهدون بغير هديه ؛ أي على غير طريقته ، فالمستمع إليهم يرى في كلامهم معروفًا يعرفه ؛ لأنّه من السنة ، ويرى في دعوتهم أيضًا منكرًا ينكره ؛ لأنّه بدعة وضلالة ؛ فدعوتهم مزيج من السنة والبدعة ، وخليط من الحق والباطل .

ومع هذا فإن أحوال الأمة تزداد سوءًا ، وبعدها عن الحق يزداد يومًا بعد يوم ، حتى إن هذا الخير الناقص لا يدوم ؛ بل يعقبه شر قبيح ، فسّره الرسول صلى اللّه عليه وسلم بأنه : « دعاة على أبواب جهنم » ، وهذا ينبه إلى خطورة الدعوة ، وأثرها ودورها ؛ لأنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ذكر أن الشوائب التي علقت بالخير الذي فيه دخن سببها قوم يهدون بغير هديه ؛ أي دعاة منحرفون عن السنة ، وأن الشر العظيم والفتنة الشديدة سببها دعاة إلى النار !!

ومن المعلوم أن المسلم يثق في الدعاة والعلماء أكثر من غيرهم ، ويأتمنهم على دينه ، ويقبل دعوتهم وكلامهم .

وأكثر المسلمين لا يتطرق إلى عقله وجود دعاة على أبواب جهنم يضلون الناس ، ويفسدون عليهم عقيدتهم وعبادتهم ، ويفتنونهم بغير الحق الذي أنزله اللّه .

من المعلوم أن المسلم يثق في الدعاة والعلماء أكثير من غيرهم ، وأكثر المسلمين لا يتطرق إلي عقله وجود دعاة على أبواب جهنم يضلون الناس ، ويفسدون عليهم عقيدتهم وعبادتهم ، ويفتنونهم بغير الحق الذي أنزله اللّه .

ويسود فهم فاسد لدى كثير من المسلمين خلاصته ؛ أنك إذا سألت عالمًا فأفتاك فإن المسئولية بين يدي اللّه تكون على ذلك العالم لا عليك !! لأنك وضعتها في رقبته كما يقولون !! وهو اعتقاد باطل يرده هذا الحديث الصحيح ؛ فإن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قد حذر الأمة أن من أجاب هؤلاء الدعاة والعلماء الذين يضلون الناس ، فيحلون ما حرم اللّه ، أو يحرمون ما أحل اللّه ، أو يدعون إلى بدعة أو ضلالة ، أو ينهون عن سنة صحيحة .

أقول : قد حذر صلى اللّه عليه وسلم من اتباع هؤلاء ، أو الاستجابة لهم ، فقال : « من أجابهم إليها قذفوه فيها » ، ولم يفرق صلى الله عليه وسلم في تحذيره بين متعلم وجاهل ، أو صغير وكبير ، ولا بين رجل وامرأة .

وكل من علم بإخبار رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عن دعاة الضلالة ، فإنه لا شك سيتساءل ؛ من هم ؟ وكيف نعرفهم ؟ وما علامتهم ؟ ويتولى حذيفة بن اليمان ، رضي اللّه عنه ، عرض هذا السؤال نيابة عن الأمة فيقول : يا رسول اللّه ، صفهم لنا .. فيكشف رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أمرهم ، ويفضح سترهم ، فيقول : « هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا » !!

إذن هم من العرب ؛ يعيشون بيننا ، يأكلون من طعامنا ، ويشربون من شرابنا ، ويفسدون علينا ديننا ، ولولا أن هذا الحديث قد أفصح عن هويتهم لظننا أن المقصود بهم أعداء الإسلام في أوروبا وأمريكا من اليهود وغيرهم ، أو أنهم الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام ، فلم يفهموه لاختلاف اللغة ، أو أنهم من تظاهروا بالدخول في الإسلام ليطعنوه من الداخل كعبد اللّه بن أبي بن سلول زعيم المنافقين ، أو عبد اللّه بن سبأ اليهودي .

ولكن هذا الحديث الصحيح الصريح قد بين أنهم من العرب ، ومازال السؤال قائمًا : من هم ؟ إنهم من الذين يحلون ما حرّم اللّه ، ويحرمون ما أحل اللّه ، ويفتون فيما يعرفون وما لا يعرفون ، وهم الذين يقولون ما لا يفعلون ، هم دعاة البدعة والضلالة الذين يجاملون الناس على حساب الدين ، ويبتغون بدعوتهم وجه الناس لا وجه اللّه .

وهم كثير على مر العصور والدهور ، كل غايتهم إدراك المناصب حتى يشار إليهم بالبنان ، وهم أفسد للدين من أئمة الجور ، ولذلك كانوا أول من تسعر بهم النار كما ثبت في الحديث الصحيح .

يسود فهم فاسد لدى كثير من المسلمين خلاصته : أنك إذا سألت عالمًا فأفتاك فإن المسئولية بين يدي اللّه تكون على ذلك العالم لا عليك !! لأنك وضعتها في رقبته كما يقولون !!

ويمضي حديث حذيفة ، رضي الله عنه ، في حواره ، فيسأل عن المخرج من الفتنة ، فيقول : « فما تأمرني إن أدركني ذلك » ؟!!

ويبين الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته المخرج الذي لا نجاة إلا به ، فيقول : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » ، وجماعة المسلمين هم : الصحابة على قول آخر ، أو السواد الأعظم من أهل السنة والجماعة على قول آخر ، أو العلماء العاملون بعلمهم على قول ثالث ؛ وهذه الأقوال الثلاثة لا تعارض بينها في واقع الأمر ؛ لأنّ الذي يتمسك بمنهج الصحابة يكون في الحقيقة متمسكًا بمذهب أهل السنة والجماعة ، ومن فعل ذلك يكون مقتديًا بالعلماء العاملين ، وبذلك يكون قد جمع بين الأقوال الثلاثة .

أما أئمة المسلمين فهم الأمراء والعلماء ؛ والأمير أو الحاكم أو الإمام هو من صار إمامًا أو حاكمًا بالبيعة الشرعية المعروفة أو تغلب بحد السيف حتى صار حاكمًا ، فهذا أيضًا تنبغي طاعته في غير معصية ؛ ليس إقرارًا لظلمه ، وإنما تجنبًا للمفسدة ، وصيانة لدماء المسلمين .

كما أن العلماء الصادقين العاملين هم أئمة الأرواح وقادتها ؛ ولذلك كان قول من قال : إن الأئمة هم الأمراء والعلماء مبنيًا على أن الحكام هم قادة الأجسام ، والعلماء هم قادة الأروح ، ويختم حذيفة ، رضي الله عنه ، حواره بسؤال في غاية الأهمية فيقول : يا رسول ، فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ، وهي صورة عجيبة أنطق الله بها حذيفة ، رضي الله عنه ، رحمة بهذه الأمة ، فإنه ، رضي الله عنه ، قال هذه المقولة في وقت كان المجتمع المسلم في ذروة الاستقرار ، وقائده وإمامه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصحابة معتصمون بحبل الله في أكمل وأجمل صورة رأتها البشرية من بدايتها إلى نهايتها .

وعندما يغيب الإمام وتنعدم الجماعة تكون الفتنة على أشدها ، والبلاء قد بلغ ذروته وغايته ؛ إنها بالتعبير المعاصر شعب ممزق مفرق بلا حاكم ولا حكومة .

وأوضح مثال له في عصرنا : شعب الصومال !! فإنه فرق وقبائل متناحرة متنافرة ليس لهم جماعة ولا إمام ، وعند ذلك يكون المخرج هو : « فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » .

إن هذا الحديث تمس الحاجة إلى معرفته وفهمه في زمن أصبحت فيه الفتن كقطع الليل المظلم . اللهم إننا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

صفوت الشوادفي

الأمير أو الحاكم أو الإمام وهو من صار إمامًا أو حاكمًا بالبيعة الشرعية المعروفة أو تغلب بحد السيف حتى صار حاكمًا ، فهذا أيضًا تنبغي طاعته في غير معصية ، ليس إقرارًا لظلمه ، وإنما تجنبًا للمفسدة وصيانة لدماء المسلمين .

استجيبوا لله وللرسول

فضيلة الشيخ / عبد العظيم بدوي

يقول الله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا استجيبوا للَّه وللرسول إذا دعاكم لِمَا يُحْيِيكُمْ واعلموا أن اللَّهَ يحول بين المرء وقلبه وأنَّه إليه تُحشرون ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

أفادت هذه الآية ثلاثة أمور :

- **الأول** : الأمر بالاستجابة للَّه والرسول .
- **الثاني** : الإنسان لا يملك قلبه .
- **الثالث** : إلى اللَّه مرجعكم جميعًا .

أما الأول : فإن اللَّه يقول : ﴿ يأيها الذين آمنوا استجيبوا للَّه وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ يا من رضيتم باللَّه ربًّا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد صلى اللَّه عليه وسلم نبيًّا ورسولاً ، يا من صدقتم باللَّه ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ، وكثيرًا ما ينادي اللَّه تعالى على المؤمن ، ويستفتح النداء بلفظ الإيمان تذكيرًا للمؤمنين ، كأن الإيمان يقتضي الاستجابة والسمع والطاعة والامتثال والانقياد ، كما قال تعالى : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى اللَّه ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ [النور : ٥١] .

وقال تعالى : ﴿ وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى اللَّهُ ورسولُهُ أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص اللَّهَ ورسولَهُ فقد ضلَّ ضلالاً مُبينًا ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

قال ابن مسعود ، رضي الله عنه : إذا سمعت اللَّه يقول : ﴿ يأيها الذين آمنوا ﴾ فارعه سمعك ، فإما خير يأمر به ، أو شر ينهى عنه .

﴿ يأيها الذين آمنوا استجيبوا للَّه وللرسول إذا دعاكم لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ : هذه الآية كقوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمَنوا آمِنوا باللَّهِ ورسولِهِ والكتاب الذي نَزَّلَ على رسوله والكتاب الذي أَنزلَ مِن قبلُ ﴾ [النساء : ١٣٦] ، وفي هذه الآية يقول : ﴿ استجيبوا للَّه وللرسول إذا دعاكم لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ؛ فجعل الإيمان سبب الحياة ، كما قال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورًا نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾ [الشورى : ٥٢] ؛ فالإيمان روح ونور ، والقرآن روح ونور ، فمن استجاب للَّه وللرسول أحيا اللَّه قلبه وجعل له نورًا يمشي به في الناس ، ومن لم يستجب للَّه ولرسوله فقلبه ميت وهو يتخبط في الظلمات بعضها فوق بعض ، كما قال تعالى : ﴿ أَوَ مَن كان مَيْتًا فأحييناهُ وجعلنا له نورًا يَمْشِي به في النَّاسِ كَمَن مثله في الظُّلماتِ ليس بخارجٍ منها ﴾ [الأنعام : ١٢٢] . فاللَّه تعالى دعا جميع الناس إلى الإجابة فاستجاب الذين آمنوا ، وأبى الظالمون إلاَّ كفورًا ، والذين استجابوا هم الحية قلوبهم ، والذين لم يستجيبوا هم الميتة قلوبهم ؛ ولذلك قال تعالى : ﴿ إنما يستجيبُ الذين يسمعونَ والموتى يبعثُهُمُ اللَّهُ ثم إليه يُرجعون ﴾ [الأنعام : ٣٦] ، إنما يستجيب الذين يسمعون بقلوبهم الحية ؛ فالسماع هنا المراد به سماع القلوب ، وإلاَّ فالذين استجابوا والذين لم يستجيبوا قد اشتركوا في سماع الآذان ، فهم جميعًا في سماع الآذان سواء ، ولكن الحية قلوبهم سمعت آذانهم ووعيت قلوبهم ، وأما الميتة قلوبهم فقد سمعوا بآذانهم ولم تع قلوبهم ؛ لأنها ميتة ،

فسماهم موتى ، فقال : ﴿ إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم اللَّه ﴾ ، والمراد بهم : موتى القلوب ، وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ ﴾ [ق : ٣٧] أي ؛ قلب حي : ﴿ أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ [ق : ٣٧] ، وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ إن هو إلاَّ ذكرٌ وقُرآنٌ مُّبِينٌ * لِيُنذِرَ من كان حيًّا ويحقَّ القولُ على الكافرين ﴾ [يس : ٦٩ ، ٧٠] ، وهم الموتى ، ولذلك فقد سبق هذه الآية التي معنا قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا اللَّهَ ورسوله ولا تولَّوا عنه وأنتم تسمعون * ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون * إن شرَّ الدَّوابِّ عندَ اللَّهِ الصُّمُّ البُكْمُ الذين لا يعقلُونَ * ولو عَلِمَ اللَّهُ فيهم خيرًا لأسْمَعَهُمْ ولو أسمعهُم لتولَّوا وهم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٠-٢٣] ؛ فهم قالوا : سمعنا أي بآذانهم ، فقال اللَّه : ﴿ وهم لا يسمعون ﴾ ؛ أي بقلوبهم ، فإذا لم تسمع قلوبهم فهم لا يسمعون ؛ لأنَّ المقصود الأعظم من سماع الآذان فَهْم القلوب وعقلها ، وقلوبهم لم تفهم ولم تعقل فهم لا يسمعون ، ولذلك قال تعالى : ﴿ ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفًا ﴾ [محمد : ١٦] ، منهم ممن قد سمعوا لكن لم يفهم ، وكأنهم لم يسمعوا ، وقال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا استجيبوا للَّه وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ ؛ الحياة الطيبة الهنيئة السعيدة ، الحياة التي لا تؤثر فيها المادة بوجودها ولا بعدمها ، فوجودها وعدمها سواء ، الحياة التي تصحبها الطمأنينة ، ويسودها الهدوء ، وتملؤها الرحمة والبركة ، الحياة التي يصحبها الأنس باللَّه ، والركون إليه والرضا بقضائه ، الحياة التي تجعل العبد يردد عند كل قضاء :

يا رب ما مسني قدر يكره أو رضى
إلا اهتديت به إليك طريقا
أمضي القضاء على الرضا مني به
إني علمتك في البلاء رفيقا

وهذه الحياة لا تعرف إلا بالمذاق ، فمن ذاق عرف ، يقول بعض الصالحين : إنه لتمر بالقلب أوقات أقول : إن كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه إنهم لفي نعيم .

ويقول الآخر : إنني في حال لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف .

ويقول ثالث : مساكين أهل الدنيا ! خرجوا منها ولم يذوقوا أحلى ما فيها ! قالوا : وما أحلى ما فيها ؟ قال : ذكر اللَّه ، عز وجل .

تلك هي الحياة الطيبة التي وعد اللَّه بها الذين استجابوا للَّه ، عز وجل ؛ حيث قال تعالى : ﴿ مَن عمل صالحًا من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ فلنحيينه حياةً طيبةً ﴾ [النحل : ٩٧] ، وحياتهم في الآخرة أرغد وأطيب وأكمل وأتم ، قال تعالى : ﴿ للذين استجابوا لربهم الحسنى ﴾ أي ؛ الجنة : ﴿ والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ [الرعد : ١٨] ، فالذين استجابوا له يقول اللَّه تعالى فيهم : ﴿ فما أُوتيتُم من شيءٍ فمتاعُ الحياة الدنيا وما عند اللَّهِ خيرٌ وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * والذين يجتنبون كبائر الإثمِ والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون * والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم يُنفقون ﴾ [الشورى : ٣٦-٣٨] .

فالذين استجابوا لربهم لهم في الدنيا أن يحييهم اللَّه تعالى حياة طيبة ، ولهم في الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، والذين لم يستجيبوا لربهم لهم الشقاء والعذاب والهم في الحياة الدنيا : ﴿ ولعذاب الآخرة أشقُّ وما لهم من اللَّه من واقٍ ﴾ [الرعد : ٣٤] ، فهم في الدنيا في نكد ونصب وهم وغم وخوف ، لا يهدأ لأحدهم بال ، ولا يقر له قرار ، لا يطمئن له قلب ، وهو بائس يائس تعيس ، مع أن الدنيا كلها بين يديه ، ولكن لا يستلذ بلذة ، ولا يتمتع بمتعة ، ولا يفرح بشهوة ؛ لأنَّ القلب

ميت ، وقد قيل : (ما لجرح بميت إيلام) ؛ ولذلك وصف اللّه حياة الذين لم يستجيبوا له بقوله : ﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوًى لهم ﴾ [محمد : ١٢] ، فهي حياة بهيمية محضة ، مع أن حياة البهائم خير من حياتهم ، فالبهائم تأكل وتشرب وتموت ، ثم يئول أمرها إلى الفناء دون حساب ولا عذاب ، ولكن : ﴿ الذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوًى لهم ﴾ ؛ ولذلك سيتمنى الكافر يوم القيامة أن يكون مصيره مصير البهائم ، سيتمنى أن لو كان منها حتى يصير إلى ما صارت إليه ، قال تعالى : ﴿ إنا أنذرناكم عذابًا قريبًا يوم ينظرُ المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابًا ﴾ [النبأ : ٤٠] .

عن أبي هريرة ، رضي اللّه عنه ، قال : يحشر الخلائق كلهم يوم القيامة ؛ البهائهم والدواب والطير وكل شيء ، فيبلغ من عدل اللّه أن يأخذ للجماء من القرناء ، ثم يقول : كوني ترابًا . فذلك حين يقول الكافر : ﴿ يا ليتني كنت ترابًا ﴾[1] .

فيا عباد اللّه ، حياة اللهو واللعب ليست حياة ، حياة الرقص والطرب ليست حياة : ﴿ لهم عذابٌ في الحياةِ الدنيا ﴾ [الرعد : ٣٤] ، أتدرون بماذا ؟ بما يحرصون عليه من زينة الحياة الدنيا ، بأموالهم وأولادهم ، قال تعالى : ﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد اللّه ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾ [التوبة : ٥٥] ، فالذين لم يستجيبوا لربهم يُعَذبون بأموالهم وأولادهم ، الذين يظنون أنهم أساس النعيم والسعادة ، فإن الحرص عليهم يؤرقهم ويتلف أعصابهم ، وإذا القلق عليهم يحول حياتهم جحيمًا ، وإذا بأحدهم يشقى بماله إذا زاد ويشقى به إذا نقص ، ويشقى بأبنائه إذا مرضوا ، ويشقى بهم إذا صحوا ، وصدق اللّه العظيم : ﴿ ومَن أعرض عن ذكري فإنَّ له مَعِيشةً ضنكًا ﴾ [طه : ١٢٤] .

فيا عباد اللّه : ﴿ استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من اللّه ما لكم من ملجإٍ يومئذٍ وما لكم مِّن نَّكِيرٍ ﴾ [الشورى : ٤٧] ، استَجيبوا لربكم وبادروا بالاستجابة واغتنموا الفرصة : ﴿ واعلموا أن اللّه يحول بين المرء وقلبه ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

فمن غرته الأماني ، وغره باللّه الغرور فأَجَّل وسوَّف فإنه لا يدري ربما لم يفكر مجرد تفكير في الاستجابة بعد ذلك ، وربما إذا فكر لا يصدقه اللّه عما فكر فيه ولا يعينه عليه ، فإن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، وقد أخبر اللّه تعالى أنه صرف قلوب قوم عن الإيمان عقوبة عن رفضهم أول مرة ، قال تعالى : ﴿ فلمَّا زاغوا أزاغ اللّه قلوبهم ﴾ [الصف : ٥] .

وقال تعالى : ﴿ وإذا ما أُنزلت سورةٌ نظر بعضهم إلى بعضٍ هل يراكم من أحدٍ ثم انصرفوا صرف اللّه قلوبهم بِأنهم قومٌ لا يفقهون ﴾ [التوبة : ١٢٧] ، وقال تعالى : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرةٍ ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ [الأنعام : ١١٠] .

وقال تعالى : ﴿ تلك القُرى نَقُصُّ عليك من أنبائِها ولقد جاءتهم رُسُلُهُم بالبيناتِ فما كانوا لِيُؤمنوا بما كذَّبُوا مِن قَبْلُ كذلك يَطْبَعُ اللّهُ على قُلُوبِ الكافرينَ ﴾ [الأعراف : ١٠١] ، وقال تعالى : ﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ [المنافقون : ٣] .

ولذلك حض اللّه تعالى على اغتنام الفرص ، والمبادرة بالإيمان ، فقال تعالى : ﴿ وما لكم لا تؤمنون باللّه والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين ﴾ [الحديد : ٨] إن كنتم مؤمنين يومًا من الأيام ، فمن الآن فآمنوا فإنه لا تدري نفسٌ ماذا تكسب غدًا : ﴿ واعلموا أن اللّه يحول بين المرء وقلبه ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

فبادروا بالإيمان ، وبادروا بالأعمال الصالحة ، فإن الفرصة قد لا تتكرر ؛ ولذلك قال مالك بن كعب في

---

[1] الدر المنثور » (٨/١٠٤)

قصة تخلفه عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك : غزا النبي صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، فأنا إليها أصعر ، فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، وطفقت أغدو لكي أتجهز معه فأرجع ولم أقض شيئًا ، وأقول – في نفسي –: أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديـًا والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازي شيئًا ، ثم غدوت ، فرجعت ولم أقض شيئًا ، فلم يزل ذلك يتمادى بي ، حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، فهممت أن أرتحل فأدركهم ، فيا ليتني فعلت ، ثم لم يقدر ذلك لي .

قال ابن القيم في ذكر فوائد هذه القصة :

ومنها أن الرجل إذا حضرت له فرصة القربة والطاعة ، فالحزم كل الحزم في انتهازها والمبادرة إليها ، والعجز في التأخير والتسويف بها ، ولا سيما إذا لم يثق بقدرته وتمكنه من أسباب تحصيلها ، فإن العزائم والهمم سريعة الانتقاض قلما ثبتت ، والله سبحانه يعاقب من فتح له بابًا من الخير فلم ينتهزه ، بأن يحول بين قلبه وإرادته ، فلا يمكنه بعد من إرادته عقوبة له ، فمن لم يستجب لله ولرسوله إذا دعاه ، حال بينه وبين قلبه وإرادته ، فلا يمكنه الاستجابة بعد ذلك[2] .

فيا عباد الله بادروا بالاستجابة ، وهلموا إلى السمع والطاعة وتزود :

تزود من التقوى فإنك لا تدري
إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكًا
وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم
وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من عروس زينوها لزوجها
وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر
وكم من صحيح مات من غير علة
وكم من عليل عاش حينًا من الدهر

والثالثة : ﴿ إليه تحشرون ﴾ : يحشر الله الخلائق كلها كما قال تعالى : ﴿ وما من دابَّةٍ في الأرض ولا طائرٍ يطير بجناحيه إلا أممٌ أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيءٍ ثم إلى ربهم يُحشرون ﴾ [الأنعام : ٣٨] ، وقال تعالى : ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا ﴾ [الكهف : ٤٧] ، وقال تعالى : ﴿ هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين ﴾ [المرسلات : ٣٨] ، والمراد من هذا الحشر : ﴿ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرةٌ ورزقٌ كريمٌ * والذين سَعَوْا في آياتنا مُعاجزين أولئك لهم عذابٌ مِّن رجزٍ أليمٌ ﴾ [سبأ : ٤،٥] ، ﴿ ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عَمِلُوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ [النجم : ٣١] ، ﴿ فمن يعمل مثقالَ ذرَّةٍ خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرَّةٍ شرًّا يرهُ ﴾ [الزلزلة : ٧،٨] .

فكن على يقين من أنك إلى الله راجع ، وبين يدي الله موقوف ، وأمام الله مسئول ، فأعد للسؤال جوابًا ، قال تعالى : ﴿ وقفوهم إنهم مسئولون ﴾ [الصافات : ٢٤] ، ﴿ فوربِّك لنسألنهم أجمعين * عمَّا كانوا يعملون ﴾ [الحجر : ٩٢،٩٣] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما منكم إلا وسيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه ، فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه ، فلا يرى إلا ما قدم ، فينظر بين يديه ، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة »[3] .

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

---

[2] ((زاد المعاد)) (٣/٣٧٤) .

[3] ((البخاري)) (١٣/٤٧٤/٧٥١٥) ، ومسلم (٢/٧٠٣/٦٧٠) ، والترمذي (٤/٣٥/٢٥٢٩) ، وابن ماجه (١/٦٦/١٨٥) .

رؤية

النبي ﷺ في المنام

آداب في التسمية

الجزء الثاني

بقلم فضيلة الشيخ / محمد صفوت نور الدين

أخرج البخاري عن أبي هريرة ، رضي اللّه عنه ، عن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال : «تسموا باسمي ، ولا تكنوا بكنيتي ، ومن رآني في المنام فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي ، ومن كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» .

سبق الكلام عن رؤية النبي صلى اللّه عليه وسلم في النوم ، وحديثنا الآن عن أدب اختيار الاسم ورعاية جناب النبي صلى اللّه عليه وسلم ؛ فنقول مستعينين باللّه تعالى :

الأعلام الدالة على الأشخاص ثلاثة أقسام ؛ الاسم ، والكنية ، واللقب .

فالكنية : ما صدر بأب ، أو أم ، كأبي القاسم ، وأبي بكر ، وأبي حفص ، وأم سليم ، وأم سلمة ، واللقب ؛ ما أشعر بمدح أو ذم ، كالطويل ، والأسمر ، والوسيم ، والأعمش ، والأعرج ، والاسم هو ما عدا الكنية واللقب .

واللقب غالبًا ما يستخدم للذم ؛ ولهذا قال اللّه تعالى : ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ [الحجرات : ١١] ، فيحرم ما يكرهه الإنسان من الألقاب ، سواء كان ذلك فيه أم لا ، إلاَّ أن يشتهر به ؛ كالأعمش ، والأشتر ، والأصم ، والأعرج .

قال في «لسان العرب» : والكنية على ثلاثة أوجه :

– **أحدها** ؛ أن يكنى عن الشيء الذي يستفحش ذكره .

– **والثاني** ؛ أن يكنى الرجل باسم توقيرًا وتعظيمًا .

– **والثالث** ؛ أن تقوم الكنية مقام الاسم ، فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه .

قال القرطبي : ولهذا كانت التكنية من السنة والأدب الحسن ؛ قال عمر ، رضي الله عنه : أشيعوا الكنى فإنها منبِّهة ، ولقد لقب أبو بكر ، رضي الله عنه ؛ بالعتيق والصديق ، وعمر بالفاروق ، وحمزة بأسد الله ، وخالد بسيف الله ، وقلَّ من المشاهير في الجاهلية والإسلام من ليس له لقب ، ولم تزل هذه الألقاب الحسنة في الأمم كلها – من العرب والعجم – تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير .

قال الماوردي : وأما مستحب الألقاب ومستحسنها فلا يكره ، وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم عددًا من أصحابه بأوصاف صارت لهم من أجلِّ الألقاب .

قال ابن القيم : وأما فلان الدين ، وعز الدولة ، وبهاء الدولة ؛ فإنهم لم يكونوا يعرفون ذلك ، وإنما أتى هذا من قبل العجم .

قال الألباني : لا يجوز التسمية بعز الدين ، ومحيي الدين ، وناصر الدين ، ونحو ذلك . ومن أقبح الأسماء التي راجت في هذا العصر ويجب المبادرة إلى تغييرها لقبح معناها هذه الأسماء التي أخذ الآباء يطلقونها على بناتهم مثل : (وصال ، وسهام ، ونهاد ، وغادة ، وفتنة ..) ، ونحو ذلك . والله المستعان .

وقال الألباني عن الكنية : وهذا أدب إسلامي ليس له نظير عند الأمم الأخرى فيما أعلم ، فعلى المسلمين أن يتمسكوا بها رجالاً ونساءً ، ويدعون ما تسرب إليهم من عادات الأعاجم ، كـ (البيك ، والأفندي ، والباشا ..) ، ونحو ذلك كـ (المسيو ، أو السيد ، والسيدة ، والآنسة) ، إذ كل ذلك دخيل في الإسلام ، وقد نص فقهاء الحنفية على كراهة (الأفندي) ؛ لما فيه من التزكية ، كما في حاشية « ابن عابدين » ، والسيد إنما يطلق على من كان له نوع ولاية ورياسة ، وفي ذلك جاء حديث : « قوموا إلى سيدكم » ، ولا يُطلق على كل أحد ؛ لأنَّه من باب التزكية أيضًا .

والسنة تحث على اختيار الاسم الحسن ؛ وذلك من حق الأبناء على الآباء ، والاسم حق الأب دون الأم إذا اختلفا ، وإحسان الاسم من توفيق الله للعبد ، فهو من جملة الأمنية ، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن نحسن الأمنية إذا تمنينا ، وقال : « إن أحدكم لا يدري ما يُكتب له في أمنيته » أي ؛ ما يقدر له منها ، وتكون الأمنية سبب حصول ما تمناه أو بعضها .

قال ابن القيم : ورأيت أخبار كثير من المتمنين أصابتهم أمانيهم أو بعضها ، وكان الصديق ، رضي الله عنه يقول :

احذر لسانك أن تقول فتبتلى
إن البلاء موكل بالمنطق

• اختر الاسم الحسن :

أخرج أبو داود عن أبي الدرداء : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم ، فأحسنوا أسمائكم » .

وأخرج مسلم عن ابن عمر ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أحب أسمائكم إلى الله : عبد الله ، وعبد الرحمن » .

وفي حديث أبي وهب مرفوعًا : « تسموا بأسماء الأنبياء ، وأحب الأسماء إلى الله : عبد الله ، وعبد الرحمن ، وأصدقها : حارث ، وهمام ، وأقبحها : حرب ، ومُرة » .

أما التعبد لغير الله في الأسماء فيحرم ؛ كعبد النبي ، وعبد الرسول ، وعبد المسيح وعبد الحسين ، وعبد المطلب ؛ وإنما يذكر ما كان من أسماء الجاهلية على الحكاية ، فلا يجوز التسمي بها بعد الإسلام .

ومن الأسماء المحرمة ؛ ملك الملوك ، وسلطان السلاطين ، وقاضي القضاة ، وما في معناها .

قال ابن القيم : وتحرم التسمية بسيد الناس ، وسيد الكل ، كما يحرم سيد ولد آدم ؛ فإن هذا ليس لأحد ، إلا الرسول صلى الله عليه وسلم وحده .

ويكره من الأسماء ؛ يسار ، ورباح ، ونجاح ، وأفلح ، لما جاء في حديث سمرة بن جندب عند مسلم .

يحرم التعبد لغير الله في الأسماء كعبد النبي وعبد الرسول ، كما يحرم التسمي بأسماء الشياطين

قال ابن القيم : وفي معنى هذا ؛ مبارك ، ومفلح ، وخير ، وسرور ، ونعمة ، وما أشبه ذلك ؛ فإن المعنى الذي كره له النبي صلى الله عليه وسلم التسمية بتلك الأربعة موجود فيها ، وأنه يُقال : أعندك خير ، أعندك سرور ، أعندك نعمة ، فيقول : لا ، فتشمئز القلوب من ذلك وتتغير ، وتدخل في باب المنطق المكروه .

وفي سنن أبي داود وابن ماجه ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم غير اسم بَرة ، وسماها زينب ، وقال : « تزكي نفسها ؟ » . وقال : « لا تزكوا أنفسكم ، الله أعلم بأهل البر منكم » .

قال ابن القيم : ويحرم التسمي بأسماء الشياطين ؛ كخنزب ، والولهان ، والأعور ،

والأجدع ، ومن المكروه أسماء الجبابرة ؛ كفرعون ، وقارون ، وهامان ، والوليد .

وفي «شرح الأذكار» : تكره التسمية بما تكرهه النفوس ؛ كحرب ، ومُرة ، وكلب ، وحية ، ومثله : حزن ، وضرار ، وظالم ، وحمار .

قال الطبري : لا تنبغي التسمية باسم قبيح المعنى ، ولا باسم يقتضي التزكية ، ولا باسم معناه السب .

● تغيير الاسم القبيح :

وقد غيَّر النبي صلى اللَّه عليه وسلم الأسماء القبيحة .

قال أبو داود : غيَّر النبي صلى اللَّه عليه وسلم اسم العاص ، وعزيز ، وعُتلة ، وشيطان ، والحكم ، وغراب ، وحباب ، وشهاب ، سماه هشامًا ، وسمى حربًا سلمًا ، وسمى المضطجع المنبعث ، وأرضًا تسمى عفرة سماها خضرة ، وشعب الضلالة سماه شعب الهدى ، وبنو الزنية سماهم بني الرشدة ، وبني مغوية سماهم بني رشدة .

قال ابن القيم : ومما يمنع تسمية الإنسان به أسماء الرب ، تبارك وتعالى ؛ فلا يجوز التسمية بالأحد والصمد ، ولا بالخالق ، ولا بالرزاق ؛ وكذلك سائر الأسماء المختصة بالرب ، تبارك وتعالى ، ولا يجوز تسمية الملوك بالقاهر ، والظاهر ، ولا بالجبار ، ولا المتكبر ، ولا الأول ، والآخر ، والباطن ، وعلام الغيوب .

قال ابن القيم : ومما يمنع ؛ التسمية بأسماء القرآن وسوره ؛ مثل : طه ، ويس ، وحم ، وقد نص مالك على كراهية التسمية بـ (يس) ، ذكره السهيلي . وأما ما يذكره العوام من أن يس وطه من أسماء النبي صلى اللَّه عليه وسلم فغير صحيح ، ليس ذلك في حديث صحيح ، ولا حسن ، ولا مرسل ، ولا أُثِر عن صحابي ، وإنما هذه الحروف مثل : الم ، وحم ، والر ، ونحوها .

أما التسمية المشتركة التي تطلق على اللَّه سبحانه وعلى غيره ؛ فيجوز التسمي بها ، كعلي ، ورشيد ، وبديع ؛ ولو كان مُعَرَّفًا بأل ؛ لأنَّ المراد به في حقنا ، غير المراد في حق اللَّه تعالى . ولا يجوز تغيير اسم اللَّه بالتصغير فيما هو مُضاف .

قال ابن عابدين : وهذا مشتهر في زماننا ؛ حيث يُنادى عبد الرحيم (رحيِّم) ، وعبد الكريم (كريِّم) ، وعبد العزيز (عزيِّز) ، وعبد القادر (قديِّر) ، بتشديد ياء التصغير ، وهذا من قصده كفر .

● وقت التسمية :

قال ابن القيم : إن التسمية لما كانت حقيقتها تعريف الشيء المسمى ؛ لأنَّه إذا وجد وهو مجهول الاسم لم يكن له ما يقع تعريفه به ، فجاز تعريفه يوم وجوده ، وجاز

تأخير التعريف إلى ثلاثة أيام ، وجاز إلى يوم العقيقة عنه ، ويجوز قبل ذلك وبعده ، والأمر فيه واسع .

وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الولادة ابنه إبراهيم ؛ كما في الحديث عند مسلم ، وسمى غلامًا لأبي طلحة يوم ولادته سماه عبد الله ، والحديث في « الصحيحين » ، وغيَّر اسم ابن أبي أسيد إلى المنذر يوم ولادته كذلك .

وقد صح في حديث سمرة بن جندب مرفوعًا : « كل غلام رهين بعقيقته ؛ تذبح عنه يوم سابعه ، ويحلق ويُسمى » .

● التسمية بأسماء الأنبياء :

الصواب جوازها ؛ لحديث المغيرة بن شعبة عند مسلم ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ [مريم : ٢٨] : « إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم » ، والحديث ذكره مسلم في باب التسمي بأسماء الأنبياء والصالحين ، وأما البخاري فذكر (باب من تسمى بأسماء الأنبياء) ، فذكر حديث تسمية النبي صلى الله عليه وسلم لولده إبراهيم ، ورواية مسلم : « ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم » ، وفي حديث أبي وهب مرفوعًا : « تسموا بأسماء الأنبياء » ؛ فالأدلة السابقة دالة على جواز التسمية بأسماء الأنبياء ؛ إلاَّ أنه في القوم الذين يمتهنون أبناءهم فيسبون الأنبياء فيهم فيمنعوا من تسمية أبنائهم بأسماء الأنبياء ، خاصة اسم خاتمهم صلى الله عليه وسلم .

● **لطيفة** : ذكر ابن القيم في « تاريخ ابن خيثمة » ؛ أن طلحة كان له عشرة من الولد كل منهم علي اسم نبي ، وكان للزبير عشرة كلهم تسمى باسم شهيد ، فقال له طلحة : أنا أسميهم بأسماء الأنبياء وأنت تسميهم بأسماء الشهداء ، فقال له الزبير : فإني أطمع أن يكونوا شهداء ولا تطمع أن يكون بنوك أنبياء .

● **الكنية بأبي القاسم** : روى مسلم في « صحيحه » عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، قال : نادى رجل رجلاً بالبقيع : يا أبا القاسم ، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني لم أعنك ، إنما دعوت فلانًا ، فقال صلى الله عليه وسلم : « تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي » .

فاختلف أهل العلم في جواز التكني بأبي القاسم على عدة أقوال ، منها : كراهة الكنية مُطلقًا ، ومنها : كراهة الجمع بين الاسم والكنية ، ومنها : كراهة ذلك في حياته ، وجوازه بعد موته صلى الله عليه وسلم ، ومنها : التحريم .

يقول ابن القيم : ويتعين الحمل على الكراهة جمعًا بين الأحاديث ، ثم ذكر ؛ عن

راشد بن حفص الأزهري قال : أدركت أربعة من أبناء أصحاب النبي صلى اللَّه عليه وسلم كل منهم يُسمى محمدًا ، ويكنى أبا القاسم ، وهم : محمد بن طلحة بن عبيد اللَّه ، ومحمد بن أبي بكر ، ومحمد بن علي بن أبي طالب – وهو ابن الحنفية – ومحمد بن سعد بن أبي وقاص ، وفي حديث الترمذي وأبي داود عن علي بن أبي طالب ، رضي اللَّه عنه ، قال : قلت : يا رسول اللَّه أرأيت إن ولد لي ولد بعدك أسميه محمدًا وأكنيه بكنيتك ؟ قال : «نعم» . قال علي : فكانت لي رخصة .

قال ابن القيم : وللكراهة ثلاثة مآخذ :

– **أحدها** ؛ إعطاء معنى الاسم لغير من يصلح له ، وقد أشار النبي صلى اللَّه عليه وسلم إلى هذه العلة بقوله : «إنما أنا قاسم أقسم بينكم» . فهو عليه الصلاة والسلام يقسم بينهم بأمر ربه تعالى بقسمته لم يكن يقسم كقسمة الملوك الذين يعطون من يشاءون ويحرمون من شاءوا .

– **والثاني** ؛ خشية الالتباس وقت المخاطبة والدعوة ، وقد أشار إلى هذه العلة في حديث أنس ، حيث قال الداعي : لم أعْنِكَ ، فقال : «تسموا باسمي ، ولا تكنوا بكنيتي» .

– **الثالث** ؛ أن في الاشتراك الواقع في الاسم ، والكنية معًا زوال مصلحة الاختصاص والتمييز بالاسم والكنية ، كما نهى أن ينقش أحد على خاتمه كنقشه ، فعلى المأخذ الأول يمنع الرجل من كنيته في حياته وبعد موته ، وعلى المأخذ الثاني يختص المنع بحال الحياة ، وعلى المأخذ الثالث يختص المنع بالجمع بين الكنية والاسم دون إفراد أحدهما ، والأحاديث في هذا الباب تدور على هذه الثلاثة . واللَّه أعلم .

مما سبق يتضح أن أرجح الأقوال : القول بأن النهي كان في حياته ، أما بعد موته فالجمع بين الاسم والكنية جائز ، وقد وقع ذلك من عدد من كبار الأئمة ، واشتهر بغير نكير ، وعليه جمهور السلف وفقهاء الأمصار ، أما الأسلم والأحوط فهو اجتناب التكني بكنيه أبي القاسم لورود النهي ، وهو قول الشافعي وأهل الظاهر . واللَّه أعلم .

والتفريق بين التسمي باسمه والتكني بكنيته أن الدعوة بالكنية من قبيل الاحترام والتوقير ، والشرع حث على ذلك ، أما الدعوة بالاسم المجرد فليست منه ، وقد قال اللَّه ، عز وجل : ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور : ٦٣] ؛ لذا جاء النهي منه صلى اللَّه عليه وسلم عن الكنية دون الاسم ؛ لأنه يناديه بالرسالة والنبوة أو الكنية ، أما الدعاء بالاسم فهو مما جاء عنه النهي في الآية الكريمة من سورة «النور» .

وللحديث بقية إن شاء اللَّه تعالى .

الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به

دراسة تاريخية وميدانية

بحث وإعداد معالي الدكتور
عبد الملك بن عبد الله بن دهيش
الرئيس العام لتعليم البنات
بالمملكة العربية السعودية سابقًا

الحمد للَّه رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فمنذ أكثر من عقدين من الزمان ونفسي تتوق لمعرفة مواضع الحرم المكي الشريف ، ذلك أنه كان لي شرف المشاركة في بعض اللجان المكلفة بهذا الأمر بصحبة والدي فضيلة الشيخ عبد اللَّه بن عمر بن دهيش ، رحمه اللَّه ، عندما كان رئيسًا لمحاكم مكة المكرمة ، حيث حومنا فوق بعض مواضع حدود الحرم بطائرة عمودية « هيلوكبتر » ، فرغت يومها لهذا الغرض ، وبعدها بسنوات كنت قد أشرفت على وضع أحد العلامات الدالة على موضع الحد على أحد الطرق الرئيسية المؤدية إلى البلد الحرام .

وبعد أن ابتعدتُ عن المشاغل الرئيسية ، ومنها سلك القضاء ، تاقت نفسي للاطلاع على ما كتب عن تاريخ البلد الحرام ، في القديم وفي الحديث ، ويسر اللَّه لي الوقوف على صورة من مخطوطة كتاب « أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه » للإمام محمد بن إسحاق الفاكهي المكي المتوفى في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، ويسر اللَّه لي تحقيق هذا الكتاب ، وخدمته خدمة تليق به ، فخرج هو وملاحقه وفهارسه في ستة مجلدات ، وللَّه الحمد والمنة ، عاد الشوق يحدوني من جديد لمعرفة مواضع حدود الحرم المكي الشريف ، والوقوف عليها ، واشتدت رغبتي في ذلك ، وأخذ الحماس لهذا الأمر يزداد يومًا بعد يوم كلما تعمقت في دراسة المباحث الجغرافية التي ذكرها الفاكهي في كتابه ، وكان من منهجي في تحقيق كتاب الفاكهي ؛ أن لا أدع موضعًا ذكره في البلد الحرام وعرفه إلا وقفت عليه ووصفته وصورته ، وعرفت اسمه الجديد ، وما لم أعرفه من هذه المواضع ، سألت عنه أهل الخبرة واستصحبت من يدلني للوقوف عليه ، ولذلك فقد قمت بعشرات الرحلات للتطواف على هذه المواضع وتصويرها . وربط حاضرها بماضيها ، قدر المستطاع ، وسخرت كل إمكاناتي المادية والأدبية لتحقيق ذلك ، وكان مما ذكره الفاكهي مواضع صرح أنها من حدود الحرم ، جبال وثنايا وأراض منبسطة ، وغير ذلك ، وقد صرح أيضًا أنه توجد أعلام للحرم على هذه المواضع ، فكنت أذهب بشغف ولهفة إليها ، وأتسلق الجبال ، وكم تكون فرحتي غامرة وشديدة عندما أجد تلك الأعلام التي ذكرها الإمام

الفاكهي ، وكم تكون فرحتي أشد وأكثر عندما أجد على هذه الأعلام آثار النورة البيضاء القديمة(١) .

ولقد كانت هذه الفرحة تنسيني التعب والمشقة في تسلق العالي من الجبال .

هذا وقد استدرجني كتاب الفاكهي إلى هذا الموضوع ، أكثر من ذي قبل ، ولقد وافق هذا الاستدراج رغبة متأصلة في قلبي منذ زمن بعيد .

ولقد وقفت أثناء عملي في تحقيق مخطوطة الفاكهي على المئات من أعلام حدود الحرم التي أشار إليها في كتابه ، عند ذلك قررت إكمال معرفة هذه الأعلام والوقوف عليها جميعًا ، مهما كلفني ذلك من جهد ومشقة ، وهذا يعني السير حول مكة المكرمة ليس بالسيارة وعلى أرض منبسطة سهلة ، وإنما على جبال مرتفعة قد يصل ارتفاع بعضها إلى (٥٠٠م) فوق سطح البحر ، وهذا يعني أيضًا أن أسير على قدمي الساعات تلو الساعات على أرض جبلية وعرة يابسة ، لا يُرى فيها ماء ولا خضرة .

هذه الصعوبات تتابعت أمام مخيلتي وأنا عامد على إكمال هذا البحث ، وسرعان ما تغلب حب المعرفة على جميع الصعوبات ، فتوكلت على الحي الذي لا يموت ، وقررت أن أسلك ما على الجبال لتحقيق حدود الحرم مهما أخذ ذلك من تضحيات .

ثم برزت أمامي مشكلة أخرتني أشهرًا عن البدء الفعلي بهذه المهمة ، هذه المشكلة هي ؛ من هو الدليل الذي يصحبني في مهمتي هذه ؟

إن هذه الرحلة غير عادية ؛ لأنها ليست من بلد إلى بلد ، إنما هي طواف حول بلد ، بمسار دقيق لا يجوز أن نحيد عنه ذات اليمين ولا ذات الشمال ، ومتى ما خرجت من مسارك انتفت الفائدة من هذه الرحلة ، وكانت كأن لم تكن .

فمن هو الشخص الذي يدلك على مواضع هذا المسار الدقيق ؟ إنك قبلت المغامرة ، فمن يغامر معك يا ترى ؟ طبعًا لم أجد أحدًا .

عند ذلك أردت مرشدًا لا يصحبني في هذه الرحلة فحسب ، وإنما يدلني على مواضع الحد من أسافل الجبال ، ويقول : الحد على هذا الجبل يبدأ من هنا وينتهي ها هنا ، وبحثت عن هذا المرشد فلم أجده أيضًا .

بعد ذلك تنازلتُ عن هذا الطلب الذي هو آخر ما يُطلب من الدليل أو من المرشد ، تنازلت عن ذلك إلى أمر آخر سوف أبينه .

فلقد اتصلت بأكثر من رجل ممن لهم خبرة في مواضع مكة وجبالها ووهادها وأعلامها وشعابها ، ومنهم خبراء عملوا في هيئة النظر في محكمة مكة تنتدبهم محاكم مكة لفض المنازعات ، وتثبيت الحدود والحقوق والممتلكات في المواضع المحيطة بمكة المكرمة ، ومنهم من خلف والده في هذا المنصب أو كان أميرًا على منطقة من مناطق مكة كالشريف الحارثي .

● **وخلاصة القول** : إن هؤلاء أعلم بالمواضع التاريخية والأثرية في مكة ، لا بل أعلم أهلها بأسماء جبالها ، وريعانها وأوديتها وشعابها وآبارها وغير ذلك ، وأعلم من عرفت بمواضع حدود الحرم حسب اجتهادي في ذلك ، وقد كان بصحبتنا عندما وقفنا على بعض مواضع حدود الحرم بالطائرة .

واختبرت أحدهم في أكثر من أمر فوجدت فيه الصدق والورع والتحري ، وكنت أديم النظر في كتاب « أخبار مكة » للأزرقي ، وفي كتابي الفاسي « شفاء الغرام » ، و« العقد الثمين » ومصادر أخرى ، وقلما سمعت بكتاب يتحدث عن البلد الحرام إلا اقتنيته وقرأته .

وكنت أتلهف لمعرفة ما يتعلق بالتاريخ المكي في الكتب المخطوطة بخاصة ، فاجتمع لدي في هذا الحقل الشيء الكثير نظرًا لاهتمامي الشديد في هذا الجانب من المعرفة .

وشرعت في تحقيق ما في بطون الكتب المخطوطة أو المطبوعة ، وسألت واستفسرت من العلماء والخبراء ، ودرست الخرائط الجغرافية والتاريخية ، ثم قمت بمسح علمي لتلك المواضع وغيرها .

أ- الحد(٢) الشرقي ؛ قَرن(٣) في منتصف (وادي عُرَنة)(٤) لم يسمه الشريف ابن فوزان ، ثم (جبل عارض الحصن) ، ثم (قرن العابدية) ، ثم (جبل نَمِرة)(٥) ، ثم (جبل الخَطْم)(٦) ، ثم (جبل الستار) ، ثم (شرفة أسلع)(٧) ، ثم (عارض الحصن) ، ثم (جبل المقَطع)(٨) على (ثنية خل)(٩) .

ب- الحد الشمالي ؛ (ثنية النقواء)(١٠) ، ثم جبال حمر بعد هذه الثنية حتى تصل إلى (شرفة بَشْم)(١١) ، ولم تسم (الجبال الحمر) باسم ، وبعد (شرفة بشم) ، (جبل نعمان) ، ثم (التنعيم) ، ثم جبل (نعيم) ، ثم (ربع رَحَا)(١٢) ، ثم (ربع المصانع) ، ثم (ربع الغُمَير)(١٣) ، ثم (ربع المُرَير)(١٤) ، ثم (الأعشاش)(١٥) .

جـ- الحد الغربي ؛ جبل (أظلم)(١٦) ، ثم الجبال الصغيرة التي عند رأسه حتى يوازي (أم هشيم)(١٧) .

د- الحد الجنوبي ؛ (أم هشيم) ، ثم (الدومة الحمراء)(١٨) ، ثم (جبل بُشيم)(١٩) ، ثم (جبل لَبَن)(٢٠) ، ثم (جبل الستار) - ستار لحيان - ثم (جبل الغربان)(٢١) ، ثم (ثنية المُستوفرة)(٢٢) ، ثم (البيبان)(٢٣) ، ثم (جبل غراب) ، ثم (مهجرة)(٢٤) ، ثم (صيفة)(٢٥) .

وسوف أستعرض بالتحقيق العلمي والعملي تلك المواضع ، بالبحث في المصادر التاريخية والدينية لإثبات صحة تلك المواضع ومقارنتها بما ذكره الخبراء والعلماء الأفاضل ، ومنهم فضيلة الشيخ البسام ، وكذلك الذين شاركوا اللجان التي قامت بمسح لمكة المكرمة وما حولها ، وكنت قد وقفت على كل حد من الحدود ، وربطت الحدود الأربعة بعضها .

كما كتب لي الشريف شاكر العبدلي خطابًا إلى مَن ألقاه من البدو الساكنين عند حدود الحرم يطلب فيه مساعدتي ودلالتي على ما أحتاج معرفته ، وأرسل إليّ هذا الخطاب ليصحبني في رحلاتي . وهنا اتجهت لمعرفة أماكن القبائل التي لها مواضع حول حدود الحرم .

ومن الذين استفدت منهم في هذا الجانب الشيخ حسن بن سالم الخزاعي شيخ خزاعة في الوقت الحاضر ، وقد خرج معي إلى الحد الجنوبي والغربي ، وأوقفني على بعض الأماكن التي أردت الوقوف عليها .

واستفدت من دلالة جماعة كثيرين عرفوني أسماء المواضع التي رأيت عليها أعلام الحرم ولم

أعرف أسماءها ، وهؤلاء يسكنون عند حدود الحرم ، وهم من الأشراف ، ومن قريش ، ومن لحيان ، ومن حرب ، ومن عتيبة ، ومن هذيل ، ومن الجحادلة ، ومن خزاعة ، فجزى اللّه الجميع خير الجزاء .

بعد هذا كله توكلت على اللّه ، واستعنت به ، وجعلت دليلي الذي يصاحبني هو : آثار تلك الأعلام المهدمة التي تقوم على رءوس الجبال وظهورها ، وعلى رءوس الثنايا والشرفات .

وهكذا فقد أمسكت حبلاً وثيق العرى ، وهو بقايا تلك الأعلام من الصخر المنحوت الجميل والنورة القديمة المتناثرة .

لقد رأيت في رحلتي هذه (٩٢٣) علمًا تحيط بالحرم المكي إحاطة تامة ، أقامها أسلافنا على هذه الجبال ، أكثر من ثلثها كان مبنيًا فانهدم ، ويستولي عليك العجب من صبر أولئك الأجداد على تحمل المشاق والصعاب ، إن بعض الجبال يرتفع أكثر من (٥٠٠م) عن سطح البحر ، وهو شديد الانحدار ، قد تستغرق في تسلقه أحيانًا ساعة كاملة ، بل أكثر من ذلك حتى تصل قمة الجبل ، وهناك تجد أعلامًا للحرم كانت مبنية بالصخر المنقور المنحوت ، وبالنورة البيضاء ، كيف استطاعوا أن يوصلوا الماء الكثير للبناء ؟ والنورة الكثيرة إلى هذه القمم الوعرة المرتفعة ؟

إن المتسلق إذا صعد وحده وليس على ظهره شيء ولا في يده شيء ووصل إلى القمة يرى نفسه قد عمل شيئًا عظيمًا ؛ لأنّه لا يصلها إلاّ وقد أخذ التعب منه كل مأخذ ، فكيف لو كان يحمل على ظهره حملاً من الماء أو النورة أو الصخر الأصم ؟ إنها واللّه الهمم العالية التي يتحلى بها أسلافنا الكرام .

إن هذه الرحلة قد استغرقت مني تسعة أشهر ، جلها كانت في أشهر الشتاء والربيع والخريف ، وكنت غالبًا ما أبدأ التسلق بعد صلاة الفجر ، فلا تشرق الشمس عليّ إلا وأنا على رأس الجبل ، أو في المساء بعد صلاة العصر ، حتى غروب الشمس ، أتقي بذلك حرارة الشمس الملتهبة على أرض الحجاز .

ولقد يسر اللّه لي ، وأتممت هذه الرحلة الميمونة وله المنة والفضل ، وله الثناء الحسن .

ولقد كنت أسجل ما أراه من أعلام على أوراق خاصة ، وأبدأ برسم مخطط للجبل من أوله ، وكلما صعدت ومررت بقمة للجبل أثبتها على الرسم ، وإذا ما مر بي شعب عن يميني أو عن يساري أثبته على الرسم ، ولا ينتهي الرسم إلا بانتهاء الجبل ، وخلال ذلك كنت أثبت مواضع الأعلام على الرسم التخطيطي ، ثم أسجل ما بين علم وعلم من مسافة ، واتجاه كل علم كذلك ، ثم أسجل وصفًا كاملاً لكل علم ، هل هو كبير أو صغير ؟ هل عليه نورة ؟ هل حجارته منحوتة مرضوضة ؟ هل هو منخفض أو مرتفع ؟ وهكذا حتى تكون الصورة التي يطالعها القارئ مكتملة نوعًا ما ، وقدر الطاقة ، وأخيرًا ألتقط لكل علم صورة أو أكثر توضح معالمه الباقية ، ثم أكتب وصفًا عامًا للجبل من حيث حدوده وأبعاده ولون حجارته ، وما إلى ذلك ، ثم إذا رجعت إلى مكتبتي أبيض جميع ما كتبته في بطاقات خاصة ، مع تقديم ذكر اسم الجبل ومعنى هذا الاسم أحيانًا ، وضبط لفظه ، ثم ذكر اسمه القديم إن وُجد ، وإن

وجد له ذكر في الكتب القديمة ذكرته ، وإن وجد له أكثر من اسم ذكرته أيضًا .

بعد ذلك أذكر عدد الأعلام التي وجدتها عليه إجمالاً ، ثم أفصلها فيما بعد ، ذاكرًا ما رأيته من أوصافها ، من حيث الحجم والبناء والحجارة والموضع ، وما إلى ذلك .

وبعد التحقيق من صحة مواضع تلك الأعلام سواء من المصادر المكتوبة أو من العلماء والخبراء أقوم بعد ذلك بتبييض الرسم المخطط للجبل تبييضًا جيدًا ، مع مراعاة ما عليه من أعلام بالرموز والمقاسات التي يجد القارئ تفاصيلها مُثبتة في الخرائط الجوية المعتمدة لمكة المكرمة .

ثم إذا أردت الصعود إلى الجبل الثاني ، أذكر كيفية انتقال الحد ، وكيف ارتبط هذا الجبل بذلك ، وأوضح الأدلة لانتقال هذا الحد باتجاه آخر الأعلام الموجودة على الجبل السابق ، وأول الأعلام الموجودة على الجبل اللاحق ، وذلك حتى تترابط مواضع الحد ترابطًا يمنع الشك والاضطراب في نفس القارئ والباحث .

ولقد قمت بعد إنجاز هذا البحث برسم خريطة عامة معتمدًا على خرائط جوية للجبال التي يمر عليها الخط الذي رسمته كحد لأعلام الحرم المكي الشريف من جميع جهاته .

ثم استخلصت من الخارطة العامة لكل الحدود خرائط مكبرة لكل جبل على حدة ، أو ثنية أو مدخل لمكة المكرمة ، ثم أنزلت الأعلام في موضعها على تلك الخرائط ، فجاءت الخرائط منضبطة ، ولله الحمد ، التزم بالقواعد الأصولية لهذا الفن من ذكر محيط الشكل المنحرف أو المتعرج ، وذكر ارتفاعات قمم الجبال والخطوط البيانية الأخرى وما إلى ذلك .

وقد استعنت بمكتب هندسي لمساعدتي في تنزيل الأعلام على هذه الخرائط الجوية ، فكان عملاً جيدًا ، وموفقًا ولله الحمد ، هذه هي الخطة التي سِرتُ عليها في وصف الأعلام ومواضعها .

وليعلم أن كل المقاسات بين الأعلام استعملت فيها المتر الطولي ، أما المسافات في بُعد الجبال بعضها عن بعض فغالب ذلك قد قِستُه بالسيارة .

وعندما انهيت المهمة ورجعت إلى الصور التي التقطتها رأيتها قد فاقت الـ (٢٠٠٠) صورة ، فانتخبت منها ما هو أجود وأصلح وأدل ، فوضعتها في هذا البحث وجميع أعلام الحرم مصورة عندي ، وقد بلغت (٤٤٤ صورة) ، ولله الحمد .

ورأيت بعد هذا كله أن أقدم هذا البحث بباب أتناول فيه (سبب تحريم الحرم ، ومتى حرُمت مكة ، وهل المسجد الحرام هو الحرم كله ؟ وهو ما أطافت به أعلامه ، وخصائص الحرم ودوائر الحرم التي تدور عليها أعلام الحرم من جهاته الأربع ، مثبتا ذلك من الطرق الحديثة الآن ، التي هي مداخل مكة القديمة والحديثة مستعينا بالمخططات الجوية لمكة المكرمة ، وأيضًا تناول الباب الأول تاريخ أعلام الحرم الشريف ، وأول من نصبها ، وتواريخ تجديدها إلى يوم الناس هذا ، ثم تحدثت عن جهود مؤرخي مكة في هذا الجانب ، والمواضع التي ذكروها في كتبهم عن حدود الحرم الشريف والمقاسات التي ضبطوا بها مواضع حدود الحرم ، ثم أثبت ما توصلت إليه من مقاسات توضح بُعد مداخل الحرم عن المسجد الحرام ، وكذلك علاقة

قبائل مكة بالحد والحرم ، وأيضًا الأودية التي تسكب مياهها من الحل إلى الحرم .

وقد تبين لي أن (مواضع حدود الحرم) من العلوم التي لم يدون فيها شيء إلى اليوم ، حيث أن هذا العلم كان يؤخذ مشافهة من أهل الخبرة ، ولم يُسجل فيه مصدر رسمي ولا شخصي إلى الآن ، ولذلك فإن هذا البحث هو أول دراسة ميدانية مصورة عن (مواضع حدود الحرم الشريف وأعلامه) ، وأنه ، إن شاء اللّه ، سيسد الفراغ الحاصل في المكتبة الفقهية والمكتبة التاريخية للبلد الحرام ، وأنه ، إن شاء اللّه ، سيكون المرجع التاريخي للباحثين المهتمين بهذا الأمر ، وللمجددين لأعلام الحرم الشريف فيما بعد . وقد اجتهدت أمري في هذا البحث علميًّا وعمليًّا ، فتوصلت إلى نتائج قد أغفلها الكثير منذ قرون ، واللّه الموفق .

* * *

---

(١) أي : الجير الأبيض ، ويستعمل في البناء قديمًا ، والذي يسمونه الآن « الجص » أو « كبريتات الكالسيوم » .

(٢) الحد ؛ الفصل بين الشيئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر ، أو لئلا يتعدى أحدهما على الآخر ، وجمعه حدود ، وفصل ما بين شيئين حد بينهما ، ومنتهى كل شيء ؛ حده ، ومنه أحد حدود الأرضين وحدود الحرم . « لسان العرب » لابن منظور (٣/١٤٠) .

(٣) قَرن - بفتح القاف -: بعدها راء ساكنة آخرها نون .

(٤) عُرَنة - بضم المهملة -: بعدها راء مفتوحة ، ثم نون آخرها تاء .

(٥) نمرة - بفتح النون -: بعدها ميم مكسورة ، ثم واو مهملة .

(٦) الخطم - بفتح المعجمة -: ثم طاء ساكنة آخرها ميم .

(٧) أسلع - بفتح الهمزة -: ثم سين مهملة ، ثم لام مضمومة آخرها مهملة ، والشريف ابن فوزان يسمي شرفة أسلع بـ (ثنية ابن كرز) ، وهذه التسمية غير صحيحة . انظر الباب الثاني (الحد الجنوبي للحرم) تجد أن الفاكهي ذكرها في شق مسفلة الجنوبي ، وشرفة أسلع هذه في الحد الشرقي .

(٨) المقطع - بفتح الميم -: ثم قاف يليها طاء مهملة آخرها عين مهملة .

(٩) خل - بفتح المعجمة -: ثم لام مشددة .

(١٠) النقواء - بنون مشددة مفتوحة -: ثم معجمة ساكنة على وزن فعلاء .

(١١) بَشم بفتح المعجمة ثم شين ساكنة .

(١٢) رحًا بفتح المهملتين .

(١٣) غُمير بضم المعجمة ، ثم ميم مفتوحة بعدها ياء ساكنة ثم مهملة .

(١٤) مُرير بضم الميم ، ثم مهملة مفتوحة ، بعدها ياء ساكنة .

(١٥) أعشاش جمع عش ؛ بفتح أوله ، ثم مهملة ساكنة بعدها معجمة .

(١٦) أظلم بفتح همزته بعدها معجمة ساكنة ، ثم لام مفتوحة .

(١٧) أم هشيم بفتح الهاء بعدها معجمة مكسورة ، ثم ميم .

(١٨) الدومة بفتح المهملة المشددة بعدها واو ساكنة ، ثم ميم .

(١٩) بشيم : (على وزن فعيل) ، بضم أوله ، ثم معجمة مفتوحة ، ثم ياء ساكنة

(٢٠) لبن بفتح اللام والمعجمة .

(٢١) الغربان بكسر المعجمة على وزن بعلان .

(٢٢) المستوفرة بضم الميم ثم سين مهملة ثم تاء ساكنة بعدها فاء مكسورة .

(٢٣) البيبان بكسر المعجمة ثم ياء بعدها معجمة على وزن فعلان .

(٢٤) مهجرة بفتح الميم ثم هاء ساكنة ، ثم معجمة مفتوحة ، بعدها راء مفتوحة .

(٢٥) صيفة بفتح المهملة بعدها ياء ساكنة ، ثم معجمة مفتوحة .

حوار التوحيد مع :

☐ أطالب قادة الأمة الإسلامية بالاجتماع في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومبايعة إمام للمسلمين .

●○●

☐ لو وحدتم القوانين بتحكيم الشريعة خلال أربعين يوما لأصبحت الأمة الإسلامية أمة واحدة يعزها الله ويذل أعداءها .

●○●

☐ الصحوة بدون توجيه وإرشاد وبدون طاعة لجهة معينة تأكل بعضها بعضًا .

●○●

☐ الصحوة وجدت ممزقة ومفرقة ، وتداخلت فيها الأيدي الآثمة المجرمة للتفريق وإشعال النار وإيقاظ الفتنة .

●○●

☐ الطريق الوحيد للسعادة هو العود الحميد إلي القرآن والسنة بالحكمة والموعظة الحسنة ، لا بالعنف ولا بالشدة والبغضاء .

●○●

المدينة المنورة : إعداد / جمال سعد حاتم

الشيخ / أبي بكر الجزائري

طالب فضيلة الشيخ أبو بكر جابر الجزائري قادة العالم الإسلامي في كلمته التي وجهها إليهم خلال الحوار الذي أجري معه في مدينة الرسول صلى اللّه عليه وسلم ، وفي روضة الحبيب صلى اللّه عليه وسلم بالاجتماع ومبايعة إمام للمسلمين من بينهم ، ويصبح كلٌّ منكم واليًا في بلده ، والخلافة في المدينة المنورة ، وفي أربعين يومًا يتحد القانون بتحكيم الشريعة ، وتحدث فضيلته عن الصحوة ؛ وأنها بدون توجيه وبدون إرشاد وبدون طاعة لجهة معينة تأكل بعضها بعضًا ، ونعوذ باللّه من الفتن ، وتحدث فضيلته عن أجهزة الإعلام فقال : إنها في الوقت الحاضر ليست إلاَّ مظهرًا من مظاهر الفرقة في الأمة الإسلامية ، ولو أن الإعلام إعلام رباني إسلامي لما كان هناك فرقة أو خلاف ، ولكن أسسه ومبادئه ، وقواعده كلها مستوردة من الغرب ، وقال فضيلته : إن التوجيه للعودة بالمسلمين إلى العقيدة السلفية الصحيحة ، وإنهاء الفرقة والخلاف هو أن نعود من حيث بدأ الرسول صلى اللّه عليه وسلم ، أي العودة إلى المسجد .

وأكد فضيلة الشيخ أن الأمة لو اجتمعت ونبذت الخلافات ، فسوف تحوي العالم كاملا ، ويدخل تحت نظامها ، ولكن الأعداء كادوا ومكروا مكرًا كبارًا ، كل هدفهم تقسيم الأمة ، فأوجدوا الفرق والتعصب لها ، حتى ضعفت الأمة وهبطت ، واستعمرها الشرق والغرب ، والكثير والكثير مما يشغل بال المسلمين الذين يؤلمهم حال الأمة ، من خلال الحوار الذي أجرته « التوحيد » مع العالِم والداعية الإسلامي الكبير الشيخ / أبي بكر جابر الجزائري ، وسرعان ما دار الحوار بيننا على الوجه التالي :

السبيل المنجي هو العودة إلى اللّه

■■ **التوحيد :** فضيلة الشيخ ، جزاكم اللّه خيرًا ، فقد برزت على السطح بعض الأخطاء التي تتعارض مع معتقد أهل السنة والجماعة ، أرجو من فضيلتكم بيان هذه الأخطاء وحاجة الأمة إلى المعتقد الصحيح في الأخطاء الكثيرة التي تحيط بالعالم الإسلامي ؟

■ وبهدوء العالم المتأني تأتي الكلمات ردًّا على التساؤل فيقول الشيخ : إن الأمر واضح والسبيل واضح ، واللّه تعالى أسأل أن يوفق المسلمين لسلوك هذه السبيل ، فالعقيدة مصدرها كتاب اللّه وسنة رسوله صلى اللّه عليه وسلم ، وحسبنا أن نذكر قول الرسول صلى اللّه عليه وسلم ؛ نذكر به المؤمنين لما أخبر عن فرقة اليهود وفرقة النصارى ، أخبر عن فرقة هذه الأمة أيام كانت أمة واحدة مجموعة واحدة ، قال : « وستفترق هذه الأمة إلى ثلاثة وسبعين فرقة » ، بزيادة فرقتين على النصارى ،

وفرقة على اليهود ، فسئل لما قال : « كلهم في النار ، إلاَّ واحدة ففي الجنة » ، فسألوا : من هي يا رسول اللّه الفرقة الناجية ؟ فقال : « هم الذين يكونون على ما أنا عليه اليوم وأصحابي » .

لو اجتمعت الأمة لحوت العالم كله

فمن هنا لم يبق مجال للفرقة ، لا زيدية ، ولا أباضية ، ولا إسماعيلية ، ولا رافضية ، ولا شيعة ، ولا مذهبية ، فلا مالكي ، ولا شافعي ، ولا حنفي ، كلهم مسلمون ، مصدر عبادتنا وعقيدتنا قال اللّه وقال الرسول صلى اللّه عليه وسلم ، هذه هي الفرقة الناجية التي تكون عقيدتها مثل عقيدة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وأصحابه ، وما هي بخافية ولا مستورة ولا مجهولة ، بل موجودة في الكتاب والسنة ، وتكون عبادتها أيضًا على منهج رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كعبادته ومنهج أصحابه في حدود ما يستطيع المسلم ؛ الأخلاق والآداب ؛ ذلك مصدرها ، وهذه هي السبيل المنجي ، أما هذا التكتل والتعصب والتجمع والانتساب ، فليست في صالح المسلمين ، علمًا ان المذاهب الأربعة مذاهب حق ، ونقسم باللّه ، ولكن ليس معنى هذا أن نتحزب ونتعصب ، ونقول : نحن مالكية ، وغيرنا يقول : نحن شافعية ، والآخر يقول : نحن أباضية ، ونحن كذا ونحن كذا ، واللّه لا يرضى بهذا ، ولا يسمح به ، ولكن هذا من كيد الثالوث المعبر عنه المجوس ، واليهود ، والنصارى ؛ عرفوا أن هذه الأمة إذا ما تجمعت فسوف تحوي العالم كاملاً ، ويدخل تحت نظامها ، فكادوا ومكروا مكرًا كُبارًا ، كل هدفهم تقسيم الأمة ، فأوجدوا الفرق والتعصب لها ، حتى ضعفت الأمة وهبطت واستعمرها الشرق والغرب .

إنهاء التعصب هو الطريق الوحيد للسعادة

■ ويركز الشيخ قائلاً : إنه لا بد من العودة الحميدة إلى ما قال اللّه وقال الرسول صلى اللّه عليه وسلم بلطف وهدوء وابتسامة ، لا بالشدة ولا بالعنف ولا بالبغض ولا بالعداء ؛ ذلك هو الطريق الوحيد ، لا تقول : أنا أشعري ، ولا أنا أباضي ، ولا حنفي ، ولا مالكي ، بل أقول : أنا مسلم ، وهذه الكلمة أرددها على إخواننا في الجزائر وفي غيرها ، فإنهاء التعصب هذا والتكتل ، فلا أقول : أنا مع كذا ، أو أنا مع كذا ؛ بل تقول : أنا مسلم فقط ، وأسلم حقًا قلبك ووجهك للّه ، واللّه ، عز وجل ، يتولاك : ﴿ ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه للّه وهو محسن ﴾ [النساء : ١٢٥] ، فهذا هو الطريق الرشيد الهادي بإذن اللّه إلى السعادة في الدنيا والآخرة ، واللّه أسأل أن يوفقنا وكل المسلمين إليه .

طريق السعادة للأمة

■■ التوحيد : فضيلة الشيخ ، جزاكم اللّه خيرًا ، إذا أمعنا النظر فإننا نلاحظ جهلاً عامًّا

بالدين في مجال العقيدة ، وفي مجال الشريعة ، فما توجيه فضيلتكم يرحمكم الله ؟

■ يقول فضيلة الشيخ : إن التوجيه للعودة بالمسلمين إلى العقيدة السلفية الصحيحة وإنهاء الفرقة والخلاف هو أن نعود من حيث بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ أي نعود إلى المسجد ، إن التعليم الشائع عندنا في المدارس على اختلافها وتنوعها نتائجه غير محمودة ؛ لأنهم أيضًا ركزوا في نفوسنا مطلب العلم للوظيفة .

■ وعندي كلمة تضحك الصالحين : فالدارس والدارسة لا يدرسون لله أبدًا ، وإنما للوظيفة والمستقبل ، فمن هنا ما أنتج هذا العلم ثمرة حقيقية للمسلمين مادامت النية هي الحصول على الوظيفة ، فلهذا ينبغي أن نترك هذا التعليم كما هو للوظيفة ولا حرج ، ونجمع المسلمين والمسلمات في بيوت ربهم ، وأقول دائمًا : إذا دقت الساعة السادسة مساءً كان أهل الحي في المدينة وأهل القرية يتطهرون ويحملون أطفالهم ويذهبون إلى بيوت الله ، فيصلون المغرب رجالاً وأطفالاً ونساءً ويجلسون ، ويجلس لهم معلم ليعلمهم الكتاب والسنة ولو آية من كتاب الله يحفظونها ، ثم يشرحها ويفسرها لهم ، ويبين لهم مراد الله ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم منها ويوصيهم بالعمل ، واليوم الثاني أحاديث من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهكذا ما يمضي سنة على أهل الحي في المدينة أو على أهل القرية إلا وهم علماء ربانيون يعرفون ربهم ويطلبون حبه ؛ عرفوا عقيدتهم ، عرفوا سلوكهم ، من طريق هذا العلم الرباني ، الكتاب والسنة ، ليس هناك طريق فيما أعلم وفيما أظن سوى هذا الطريق ؛ لأنَّ المدارس قد امتلأت بها الدنيا ، مدارس لا حد لها ، وإذا النتائج ما حققت شيئًا ، وسبب ذلك أنهم ما أرادوا وجه الله ، أرادوا الدنيا ، إذًا فليطيعوا كل دنياهم ويصلوا بالعلم على اختلافهم كل حسب ما يريدون ، أما العلم الروحاني الرباني المسعد الجامع للكلمة الموحد للعقيدة ، وهو قال الله وقال الرسول من طريق المسجد ، في القرية وفي الحي ، ليجلس لهم عالِمٌ رباني بالكتاب والسنة ، لا يقول : أنا شافعي ، ولا حنفي ، ولا أباضي، ولا زيدي ، بل قال الله وقال الرسول . والأمة تحفظ وهكذا ، هذا هو الطريق .

السبيل المؤدي للنجاة

■■ التوحيد : فضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري ، يرحمكم الله ، ما هي مشكلة الصحوة الإسلامية في العصر الحالي وفي العصور السابقة جزاكم الله عنا خيرًا ؟

■ وبعد أن فند الشيخ جزاه الله خيرًا حال الأمة والطريق الموصل للنجاة ، تحدث عن الصحوة قائلاً : أولاً ما الصحوة الإسلامية ، ثم أقول : ما مشكلتها ؟ الصحوة الإسلامية أنه

عندما انتهى الاستعمار واستقل بلاد العالم وأصبحوا دويلات مستقلة ، وانتشر العلم بوسائل متعددة كالإذاعات والمجلات والكتب ، وأصبح العالم وكأنه بلد واحد فأفاق الناس وصحوا ، ورفعوا رءوسهم وأصبحوا يتخبطون لا يعرفون الاتجاه الحقيقي ، ولا كيف يجتمعون ، فهنا وجب عليهم أن يتحدوا حول شيخ واحد ، المدينة حول شيخ واحد ، الإقليم حول شيخ واحد ، وهكذا ستجد كلمتهم على أن يكون الشيخ أهلاً للمشيخة ، شيخًا في الكتاب والسنة ، وبذلك تتجه الاتجاهات كلها نحو اللّه ، عز وجل ، وطلب الهداية ؛ لأنّ الصحوة وجدت لكن ممزقة مفرقة ، وتداخلت أيضًا فيها الأيدي المجرمة للتفريق وإشعال النار وإيقاظ الفتنة والحروب دائرة ، فلا قضاء لهذه الفتنة فتنة الصحوة إلا أنّه لا يجوز لنا أهل القرية أن نختلف ، ولا أهل الإقليم أن نتنازع ، أمرنا واحد نختار عالمًا بالكتاب والسنة وهو يقودنا ، فإذا اختار أهل البلاد الإسلامية كل بلد عالمًا ربانيًا اتحدت الكلمة ؛ لأنّ أولئك العلماء يستحيل أن يفترقوا أو يختلفوا ، وهذه هي السبيل للنجاة .

دعوة أهل القرية لكي يكون لهم شيخ

■ أما أهل الصحوة بدون توجيه وإرشاد ، وبدون طاعة لجهة معينة ، تأكل بعضها بعضًا ونعوذ باللّه من الفتن ، فاللهم وفقهم لأن يعرفوا هذا الطريق ويسلكوه أهل المدينة وأهل القرية .

وفي الجزائر كمثال كتبت لهم رسالة وهي صورة لمشيخة إسلامية وعينت الشيخ ونائبه وقلت لهم : عجلوا قبل أن تشتعل نار الفتنة ؛ لأنّ هذا الإقبال على اللّه ، عز وجل ، ما يسمح به أعداء الإسلام ، لا بد وأن يوقظوا الفتنة ، وحدوا الكلمة ، شيخ الإسلام هو الذي يتحدث مع الحكومة يطلب منها وتطلب منه وأنتم تابعون له ، فلو شاء اللّه لو تمت هذه وقبلوها ما اشتعلت هذه النار وما قتل الآلاف ، ولكن رفضوا ؛ لأنّ الصحوة هي هذه كل يحمل فكرة ونوعًا منها ، فلا بد من العودة إلى الشريعة ، وهي ألا يختلف اثنان ، فإذا مشى ثلاثة فلا بد وأن يؤمروا عليهم أحدًا ، فأهل القرية يجب ألا يكونوا مختلفين أبدًا ، شيخهم واحد ، قال الشيخ .. قال الشيخ .. ولهذا ينبغي أن ندعو بهذه الدعوة أن أهل القرية لا بد وأن يكون لهم شيخ يجمع كلمتهم ويمشون وراءه ، على أن يكون ذا علم ورشد ، وهذا هو الطريق .

■■ **التوحيد** : فضيلة الشيخ ، جزاكم اللّه خيرًا ، الإعلام في هذا العصر له دور خطير في تشكيل آراء الناس ، ويدخل أيضًا في تشكيل معتقداتهم فكيف يقوم الإعلام بنشر المعتقد الصحيح خصوصًا وأنه يلاحظ عزوف كثير من العلماء من أهل السنة والجماعة وبعض طلبة

العلم عن المشاركة الفعالة في الوسائل الإعلامية ، وأتيحت لذلك المجالات أمام أصحاب العقائد والمناهج الأخرى ؟

أجهزة الأعلام المستوردة من الغرب لا تنشر إلا باطلاً

ويرد الشيخ قائلاً : إنني لا أستطيع أن أقول سوى أن هذا من مظاهر الفرقة في الأمة الإسلامية ، ولو أن الإعلام إعلام رباني إسلامي لما كان هناك فرقة أو خلاف ، ولكن أسسه ومبادئه وقواعده كلها مستوردة من الغرب ، مستوردة من خريجي كليات السياسة في الخارج ومدارس أوروبا ، فماذا نرجو منهم ؟!

ثم هذا الإعلام الذي أريد أن أقول فيه : إنه يجب أن يخرج لا يدخل بيتًا تلفاز أو إذاعة لا تدخل بيتًا مجلة أو جريدة تنشر الباطل وتقول الكذب ، فالعصمة في كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم والرجوع إلى مشايخنا ، وأهل العلم بيننا ، أما أن نعول على الانتفاع بالإعلام فغير ممكن ، ولن تزيد الطين إلا بلة ، والفتنة غير اشتعال ، وهو الواقع ، هل نفع الإعلام في شيء ، ولهذا نقول : نحده ونعاديه ولا نسمح للتلفاز في بيت لا نشاهد صورة ، ولا أهلي يرونها ولا أدخل مجلة أو جريدة إلا إذا كانت مجلة أو جريدة إسلامية بحتة أو للدعوة خاصة ، ومن باب اجتناب ما يكره خشية أن نقع فيه ، فاعتزال هذه الوسائل الإعلامية وتركها أنفع للعبد المسلم إذا كان ذا علم وبصيرة .

الشيخ أبو بكر يناشد قادة المسلمين بالوحدة واختيار خليفة من بينهم

■■ التوحيد : فضيلة الشيخ ، جزاكم الله خيرًا ، في ختام هذا اللقاء الطيب ، نرجو من فضيلتكم توجيه كلمة إلى حكام العالم الإسلامي لعل الله أن ينفع بها قادة الدول الإسلامية ؟

وما أن انتهى السؤال حتى وجه الشيخ البيان التالي :

■ يا قادة الأمة الإسلامية ؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أوجه إليكم كلمتي هذه فاسمعوها وطبقوها تسعدوا وتكملوا ، وهي أن تجتمعوا في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي روضة الحبيب صلى الله عليه وسلم ، وتبايعوا إمامًا لكم ، ويصبح كل منكم واليًا في بلده ، والخلافة في المدينة النبوية ، وفي أربعين يومًا يتحد القانون بتحكيم الشريعة وتطبيقها ، في أربعين يومًا تصبح أمة الإسلام أمة واحدة ، ولا يكلفكم شيئًا ، فالطائرة ميسرة وسهلة ورخيصة تجتمعون في الروضة النبوية الشريفة ، وتبايعون من هو أهل للبيعة ، من صلحائكم ، وتصبحون أمة واحدة ، وحينئذٍ تطبقون شريعة الإسلام كما هي ، وتصبحون أمة تسعدون وتنجون ، ويعزكم الله ويذل أعداءكم ، بل وينور بكم الأرض ، فافعلوا هذا ولكم مني السلام ورحمة الله وبركاته .

إعداد جمال سعد حاتم

أسئلة القراء عن الأحاديث

يجيب عليها

فضيلة الشيخ
أبو اسحاق الحويني

■ **يسأل القارئ : م . أ . ع – المنزلة – عن درجة هذه الأحاديث :**

١– « الشباب شعبة من الجنون » ؟

٢– « توضئوا مما مست النار ، وغلت به المراجل » ؟

٣– « الأمر المفظع ، والحمل المضلع ، والشرُّ الذي لا ينقطع ؛ إظهارُ البدع » ؟

٤– « أن العالم يلقى في النار ويدور حول أمعائه مثل الحمار » ؟

□ الجواب بعون الملك الوهاب :

أما الحديث الأول : « الشباب شعبةٍ من الجنون » ؛ فإنه حديثٌ منكرٌ:

أخرجه الخرائطي في « اعتلال القلوب » (ق ٣٨/١–٢) من طريق محمد بن عبيد المدني وعبد العزيز بن عبد اللّه ، عن عبد اللّه بن نافع ، عن عبد اللّه بن مصعب بن خالد بن يزيد بن خالد الجهني ، عن أبيه ، عن جدّه زيد بن خالد مرفوعًا : « الشباب شعبة من الجنون ، والنساء حبالة الشيطان » ، وأخرجه الأصبهاني في « الترغيب » (١٢٢٦) من طريق الزبير بن بكار وإبراهيم بن سلاّم المديني كلاهما عن عبد اللّه بن نافع بسنده سواء ، وساق خطبة طويلة – زعم أنّ النبيّ صلى اللّه عليه وسلم خطبها في تبوك – ذكر في أثنائها هذا الكلام . قال الذهبي في « الميزان » (٥٠٦/٢) في ترجمة عبد اللّه بن مصعب : (عن أبيه ، عن جده ؛ فرفع خطبة منكرة ، وفيهم جهالة) ، وعزاه الحافظ في « اللسان » (٤٨٨٨) وابن قطلوبغا في (من روى عن أبيه عن جده) (ص٣٧٤) للدراقطني في « سننه » ، والحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » ، وقال الحافظ : « وقد جهّل ابن القطان عبد اللّه ابن مصعب وأباه » ، وأخرجه البيهقيُّ في « دلائل النبوة » (٢٤١/٥، ٢٤٢) من حديث عقبة بن عامر بطوله ، وعزاه ابن كثير في « البداية والنهاية » (١٤/٥) للبيهقي وقال : (هذا حديث غريبٌ ، وفيه نكارة ، وفي إسناده ضعف) ، والصواب أن إسناده ضعيفٌ جدًا ، وفيه عبد العزيز بن عمران ، وهو متروكٌ ، والأشبه أن يكون

موقوفًا ، فقد روى أحمد في « الزهد » (ص١٤١) قال : حدثنا هاشم ، حدثنا حريز – هو ابن عثمان – عن عبد الرحمن بن أبي عوف ، قال : قال أبو الدرداء : الريبُ من الكفر ، والنوحُ عملُ الجاهلية ، والشعر مزامير إبليس ، والغلول جمرٌ من جهنم ، والخمر جماعُ كل إثم ، والشباب شعبة من الجنون ، والنساء حبالة الشيطان .. وساق كلامًا . وهذا سندٌ صحيحٌ لو سلم من الانقطاع بين ابن عوف الجرشي وأبي الدرداء . واللَّه أعلمُ .

□ أما الحديث الثاني : « توضئوا .. » فهو ضعيفٌ بهذا التمام :

أخرجه الدولابي في « الكنى » (٣٥/١) من طريق علي بن بحر بن بري ، ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا الوليد بن سليمان بن أبي السائب أنه سمع أبا فراس الشعباني يقول : إنهم كانوا غزاة القسطنطينية زمن معاوية ، وعلينا يزيدُ بنُ شجرة ، فبينما نحن عنده ، إذ مرَّ أبو سعد الخير صاحبُ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، فقال : يا أبا سعد ! أنت الذي تقول : لا بأس أن يقرأ الجنبُ القرآن ؟ فقال أبو سعد : أنا الذي أقول : إن الجُنب إذا توضأ وضوءه للصلاة ، فلا بأس أن يقرأ الآية والآيتين ، وايمُ اللَّه ! إنكم لتصنعون ما هو أشدُّ عليكم من ذلك ، قالوا : وما هو ؟ قال : تأكلون مما مست النارُ ، ثم تُصلون ، ولا تتوضئون ، وأنا سمعتُ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم يقول : « توضئوا مما مست النار ، وغلت به المراجلُ » .

وأخرجه ابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢٢١٠) ، والطبراني في « الكبير » (ج٢٢ رقم٧٧٦) من طريق دحيم ثنا الوليد بن مسلم بسنده سواء دون القصة ، لكن وقع في السند « فراس » بدل « أبي فراس » ، قال الهيثميُّ في « المجمع » (٢٤٩/١٠) : « فيه فراسُ الشعباني ؛ وهو مجهولٌ » ، وقال الحافظ في « اللسان » : (ما روى عنه سوى الوليد بن سليمان بن أبي السائب) ، وسبقه الذهبيُّ في « الأصل » ، أمَّا شطرُ الحديث الأول : « توضئوا مما مست النار » ؛ فصحيحٌ أخرجه مسلم من حديث زيد بن ثابت وأبي هريرة وعائشة ، رضي اللَّه عنهم ، لكنه منسوخٌ كما هو مقررٌ في موضعه . واللَّه أعلم .

□ وأما الحديث الثالث : « الأمر المفظع » ؛ فإنه حديث باطلٌ :

أخرجه ابن أبي عاصم في « الآحاد والمثاني » (٢٤١٤) ، وفي « السنة » (٣٦) ، والطبراني في « الكبير » (ج٣ رقم ٣١٩٤) ، وابنُ الجوزي في « الموضوعات » (٢٦٩،٢٦٨/١) من طريق بقية بن الوليد ، ثنا عيسى بن إبراهيم ، عن موسى بن أبي حبيب ، عن الحكم بن عمير الثمالي مرفوعًا فذكره .

قال ابنُ الجوزي : (لا يصحُّ ، قال الحاكمُ : عيسى واهي الحديث بمرة) ، وعيسى هذا قال البخاريُّ والنسائيُّ : (منكر الحديث) ، وتركه النسائيُّ أيضًا وأبو حاتم . وموسى بن أبي حبيب ضعفه أبو حاتم ، وبقية بن الوليد مدلس ، ولم يصرح إلاَّ في شيخه ، فالسندُ ساقط ، وقال شيخنا

أبو عبد الرحمن الألباني في « الضعيفة » (٧٥٦) : (ضعيفٌ جدًّا) ، وعزاه إلى ابن بطة في « الإبانة » (١/٣/٢٠١) .

□ وأما الحديث الرابع : « أن العالم يلقى في النار .. » فهو حديثٌ صحيحٌ :

أخرجه البخاريُّ (٦/٣٣١، ١٣/٤٨) ، ومسلم (٨٩٨٩/٥١) ، وأحمد (٥/٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٩) ، وغيرهم من طرق عن الأعمش ، عن أبي وائل قال : قيل لأسامة بن زيد : لو أتيت فلانًا فكلَّمته ؟ قال : إنكم لترون أني لا أكلمه إلاَّ أسمعكم ! إني أكلمه في السِّر دون أن أفتح بابًا لا أكونُ أول من فتحه ، ولا أقول لرجل – إن كان عليَّ أميرًا – إنه خيرُ الناس بعد شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : وما سمعته يقول ؟ قال : سمعته يقول : « يجاء بالرجل يوم القيامة ، فيلقى في النار فتندلق به أقتابُه فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه ، فيطيف به أهل النار ، فيقولون : يا فلان ! ما أصابك ؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ فيقول : كنتُ آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن المنكر وآتيه » .

■ ويسأل القارئ : علاء عبد الكريم عبد العليم من قرية بنجا – مركز طهطا – محافظة سوهاج – عن درجة هذه الأحاديث :

١– « خيرُ الناس أنفعهم للناس » ؟

٢– « ملعون من حلف بالطلاق أو حلَّف به » ؟

٣– « المؤذنون أطولُ الناس أعناقًا يوم القيامة » ؟

□ والجواب : بعون الملك الوهاب :

أما الحديثُ الأولُ : « خير الناس .. » فضعيفٌ .

فأخرجه الطبراني في « الأوسط » (٥٧٨٧) ، والبيهقيُّ في « الشعب » (ج١٣ رقم٧٢٥٢) ، والقضاعي في « مسند الشهاب » (١٢٩) من طريق علي بن بهرام ثنا عبد الملك بن أبي كريمة ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن جابر مرفوعًا : « المؤمن يألفُ ويؤلفُ ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ، وخير الناس أنفعهم للناس » ، قال الطبراني : « لم يرو هذا الحديث عن ابن جريج إلاَّ عبد الملك بن أبي كريمة ، تفرَّد به عليُّ بن بهرام » . كذا قال ! ولم يتفرَّد به ابن أبي كريمة ، فتابعه عمرو بن بكر السكسكيُّ ، عن ابن جريج بسنده سواء ، أخرجه ابن حبان في « المجروحين » (٢/٧٩) ، وابنُ عساكر في « تاريخ دمشق » (ج٢/ق ٤٢٠/٢) . ولكنها متابعةٌ ساقطة ، وعمرو بن بكر قال فيه ابن حبان : (يروي عن إبراهيم بن أبي عبلة وابن جريج وغيرهما من الثقات الأوابد والطامات ، التي لا يُشكُّ مَنْ هذا الشأن صناعته أنها محمولةٌ أو مقلوبةٌ ، لا يحلُّ الاحتجاج به) . وأمَّا عليُّ بن بهرام

وعبد الملك بن أبي كريمة الواقعان في سند الطبراني فقال الهيثميُّ في « مجمع الزوائد » (٨٧/٨) : (لم أعرفهما) ! كذا قال ، وهو عجيبٌ ، فأمّا عبد الملك بن أبي كريمة فهو من رجال التهذيب (٩٩٥/١٨) ، وأمّا عليُّ بن بهرام فترجمه الخطيبُ في « تاريخه » (٣٥٤،٣٥٣/١١) ، ولم يذكر فيه شيئًا ، ثم ابن جريج مدلسٌ ولم يصرح بتحديث ، ثم رأيتُ له شاهدًا من حديث ابن عمر قال : جاء رجلٌ إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم ، فقال : يا رسول اللّه ! من خير الناس ؟ فقال : أنفعُ الناس للناس وساق حديثًا ، أخرجه ابن عساكر (ج١١ ق٨٨٦) ، وسنده ضعيفٌ أو واهٍ ، وفيه علي بن جعفر بن عبد اللّه الرازي شيخ تمام الرازي ؛ لا يُعرف شيء من حاله ، ولم يذكر ابن عساكر في ترجمته جرحًا ولا تعديلاً ، وكذلك شيخه أبو القاسم عامر بن جريج الدمشقي ، وإبراهيم بن عبد الحميد الجرشي ، لعله المترجم في « الجرح والتعديل » (١١٣/١/١) ، فإن يكنه فهو لا بأس به ، وإلاّ فلا أعرفه ، وبكر بن خنيس ضعّفه النسائي وعمرو بن علي ويعقوب بن شيبة ، وقال ابن معين في رواية : « ليس بشيء » ، وتركه الدارقطني ، وابن خراش ، وأحمد بن صالح المصري ، ولكن قال أبو حاتم الرازي : « لا يبلغ الترك » ، كما في « الجرح والتعديل » (٣٨٤/١/١) ، وقال الحافظ في « التقريب » : (صدوق له أغلاط) ، وهذا تسامح منه ، فكان ينبغي له أن يصرح بضعفه كما فعل في « الفتح » (٢٤٣/٩) ، وله متابعاتُ أخرى لا يُعتدُّ بها ، أما أول الحديث وهو : « المؤمن يألف .. » إلخ فثابت ، واللّهُ أعلمُ .

□ أمّا الحديث الثاني : « ملعون من حلف » إلخ . فلا أعلمُ له أصلاً ، ولم أقف له على إسناد ، ورأيت العجلوني ذكره في « كشف الخفاء » (٢١٦/٢) ، وسكت عنه ، ولم يعزه لأحد ، ولم يتكلم عليه بشيء . فاللّه أعلمُ .

□ أما الحديث الثالث : « المؤذنون أطول الناس » . فحديثٌ صحيحٌ .

أخرجه مسلم (١٤) ، وابنُ ماجه (٧٢٥) ، وأحمد (٩٨،٩٥/٤) ، وأبو يعلى (٨٣٨٤) ، وابن حبان (١٦٦٧) ، والطحاوي في « المشكل » (٨/١) ، وابن أبي شيبة (٢٢٥/١) ، والطبراني في « الكبير » (ج١٩ رقم ٧٣٦) ، والبيهقي في « سننه الكبير » (٤٣٢/١) ، وفي « شعب الإيمان » (ج٦ رقم ٢٧٨٩) ، والبغوي في « شرح السنة » (٢٧٧/٢) من حديث معاوية بن أبي سفيان ، رضي اللّه عنهما .

* * *

■ ويسأل القارئ : عبد الوهاب عبد الله – البدرشين – محافظة الجيزة – عن صحة حديث : « الضرورات تبيح المحظورات » ؟

* * *

□ **الجواب** : أن هذا ليس بحديث ، إنما هو قاعدة فقهية . واللّه أعلم .

الفتاوى الفتاوى الفتاوى يجيب عليها

وقت صلاة الفجر عند طلوع الفجر الثاني

■ **يسأل : تامر بسيوني العبد – طنطا :**

١– هل وقت صلاة الفجر هو المعلن بالنتائج ؟ أم أنه هناك فجر صادق وفجر كاذب ؟ أرجو توضيح هذه المسألة ؛ لأنَّ فيها لبس كبير ؟

٢– ما مقدار الانتظار بين الأذان والإقامة ؟ وهل هناك سُنة عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم في تطويل ذلك وخاصة في صلاة الفجر ؟

■■ **الجواب :** ١– صلاة الفجر تكون عند طلوع الفجر الثاني وهو البياض المعترض الذي لا يأتي بعده ظلمة ، والاعتماد على الحساب إذا كان الحساب منضبطًا لا بأس به لمن لا يتمكن من رؤية الفجر بنفسه ولا يسمع أذان المؤذنين .

٢ – مقدار الانتظار بين الأذان والإقامة يختلف باختلاف المأمومين وحضورهم ، فإذا اجتمعوا فالمشروع المبادرة بالإقامة ، وإذا تأخروا تؤخر الإقامة حتى يتمكنوا من إدراك الصلاة .

* * *

لا يجوز لك مخالطة هذه الفتاة

■ **ويسأل الأخ : س . ف – الإسماعيلية :**

١– إني طالب في إحدى المعاهد المتوسطة ، فقامت علاقة بيني وبين إحدى الفتيات بالمعهد ، وهي من نفس محافظتي ، وهذه العلاقة تقوم على أساس الأخوة والاحترام والمعزة ، فهي تعتبرني أخًا لها ، تحكي لي كل ما بها من مشاكل ، على أن أساعدها في حلها ، وأنا أيضًا احترمها وأعزها جدًّا ، كأنها أخت لي ، فهل في هذه العلاقة شيء من الشبهة والحرام ؟

٢– يوجد في الشارع الذي أسكن فيه مجموعة جيران من النصارى ، فعندما تحدث لي مصيبة أجدهم بجواري فيساعدونني ، وعند الفرح أجدهم بجواري يشاركوني أفراحي ، وأنا في حيرة ماذا أفعل معهم عندما يحدث لهم مثل ما حدث معي ؟

■■ **الجواب :** ١– لا يجوز لك مخالطة هذه الفتاة ، ولا الخلوة بها ، ولا مصاحبتها ، لما في ذلك من الفتنة والوسيلة إلى الفاحشة ؛ لأنك أجنبي عنها ، وهي أجنبية عنك .

٢– يجب الإحسان إلى الجار ، ولو كان كافرًا ، لكن لا تجوز مودتهم ومحبتهم ؛ لأنهم أعداء للَّه ، أما حسن الجوار فهو من أمور التعامل الدنيوي والترغيب في الإسلام .

فضيلة الشيخ / صالح الفوزان

(عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية)

لا يجوز الاستماع للأغاني والموسيقى

■ **يسأل : السيد سعيد - الشرقية :**

ما حكم الإسلام في الموسيقى والغناء بصفة عامة ، وغناء المرأة بصفة خاصة ، وهل هناك غناء مباح ، وما هي شروطه ، وهل الأغاني الدينية التي يقدمها التلفاز حلال أم حرام ؟

■■ **الجواب :** لا يجوز الاستماع للأغاني والموسيقى من المذياع ولا من غيره ؛ لأنَّ ذلك هو اللهو المحرم في قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يشتري لَهْوَ الحديث ليضل عن سبيل اللّه بغير علم ﴾ [لقمان : ٦] ؛ ولهو الحديث : هو الغناء كما فسره ابن مسعود ، رضي اللّه عنه ، وغيره من الصحابة .

* * *

لا تنصرف من الصلاة إلا إذا تيقنت انتقاض الوضوء

■ **يسأل : م . أ - باكوس - إسكندرية :**

١- تلاحقني الشكوك في وضوئي نتيجة لخروج الغازات مني بشكلٍ مستديم ، وأضطر لقطع صلاتي وإعادتها ، وأحيانًا لا أقطعها ، فهل تكون صلاتي صحيحة ، وأضطر عند خروج ريح مني أثناء صلاتي أن أكمل صلاتي بغير وضوء تحرجًا من الناس ، وهذا يؤرقني ويسبب لي إحساسًا بالذنب ؟

٢- أعرف شابًا كان يتعاطى المخدرات وتاب عن ذلك وعُولج ، ولكن تعاطي المخدرات ترك له آثارًا سيئة على عقله ، ودائمًا في حالة اضطراب وقلق وعدم مقدرة على التحدث مع الناس بطريقة طبيعية ، فهل هذا ابتلاء من اللّه ويحاسبه على تعاطي المخدرات وبأنه كان السبب في تلف عقله ؟

■■ **الجواب :** ١- ترك الوساوس والاستعاذة باللّه من الشيطان ، ولا تنصرف من الصلاة إلا إذا تيقنت انتقاض الوضوء ، وإذا كان خروج الخارج بصفة مستمرة فإنك تتوضأ عندما تريد الدخول في الصلاة ، ثم تصلي ، ولو خرج منك شيء في أثناء الصلاة فصلاتك صحيحة ، لقول اللّه تعالى : ﴿ فاتقوا اللّه ما استطعتم ﴾ [التغابن : ١٦] ، وقوله تعالى : ﴿ لا يُكلف اللّه نفسًا إلا وسعها ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

٢- وأما الآثار التي حصلت من تعاطي المخدرات بعد التوبة منها ؛ فإن كان لها علاج فإنها تعالج ، وإلا فلا إثم على من ابتلي بها إذا تاب إلى اللّه وحافظ على دينه .

لا بد من التزام الحجاب الشرعي

■ تسأل السائلة : س . ع . أ . ع – القاهرة :

هل يجوز لي أن تذهب ابنتي إلى المدرسة وهي في المرحلة الثانوية بدون نقاب ، حيث أنني حاولت الضغط عليها لترتديه خارج المدرسة ، ثم تخلعه أثناء الحصص فرفضت رفضًا تامًّا ، بحجة أنها ستكون مدعاة للسخرية والاستهزاء من زميلاتها ومن كل من يراها ، بالإضافة إلى مضايقات المدرسة في ذلك ، وماذا أفعل إن كان عليَّ إثم في ذلك ، هل أمنعها من إكمال دراستها ؟

■■ **الجواب** : لا بد من التزام الحجاب الشرعي ، ولو حصل للمسلمة مضايقات فإنها تصبر على ذلك ، وهي على أجر في ذلك ، وعلى ولي أمر الطالبة إلزامها بذلك ؛ لأنه راع عليها ومسئول عن رعيته .

يجوز للخاطب أن يرى من مخطوبته ما يرغبه فيها

لا تجوز الصلاة في المساجد التي فيها قبور

■ **يسأل الأخ السائل** :

١- هل يجوز للخاطب أن يرى خطيبته بعد ثلاثة أيام من بعد الخطوبة ؟ وهل يجوز له أن يراها كل شهر مثلا مع ذي محرم ؟

٢- ما حكم الإسلام في التصوير ؟

٣- ما حكم الصلاة في المساجد التي بها قبور ؟

■■ **الجواب** : ١- يجوز للخاطب أن يرى من مخطوبته ما يرغبه فيها ؛ كالنظر إلى وجهها وكفيها ، ويكون ذلك من غير خلوة بها ، بل بحضور وليها ؛ لأنَّ النبي صلى اللّٰه عليه وسلم أمر بذلك ؛ ولأنّه أدعى إلى الوئام بينهما .

٢- التصوير حرام ؛ لما جاء في الأحاديث الصحيحة من الوعيد الشديد عليه ، ولما فيه من مضاهاة خلق اللّٰه تعالى ؛ ولأنّه وسيلة إلى الشرك بصور المعظَّمين .

٣- لا تجوز الصلاة في المساجد التي فيها قبور ؛ لأنَّ النبي صلى اللّٰه عليه وسلم نهى عن اتخاذ القبور مساجد ؛ ولأنَّ ذلك وسيلة إلى الشرك ، ولا تجوز زيارة القبور بقصد التبرك بها أو الاستغاثة بأصحابها ، أما الزيارة التي يُقصد بها الدعاء للأموات والاعتبار والاتعاظ فهي زيارة مشروعة مستحبة .

ـ الواجب صلاة الجمعة مع أهل البلد في المسجد الذي تُقام فيه

ـ يحل أكل اللحم الذي لم ينضج إذا لم يضر صحتك .

ـ العلماء المقتدى بهم في الفتوى هم أهل السنة والجماعة العاملين المتمسكين بعلمهم .

■ **يسأل : م . ع – الجيزة :**

١– ما حكم صلاة الجمعة في الشركة التي لا يوجد بها مسجد ؟

٢– ما حكم العمل بأحاديث الآحاد في العقيدة والأحكام ؟

٣– ما حكم أكل اللحم والأشياء الحلال قبل أن تنضج ؟

٤– من هم العلماء الموثوق بهم في الفتوى في البلاد الإسلامية ؟ وما المقصود بحديث : ((إن اللَّه يبعث على كل رأس مائة سنة من يجدد لهذه الأمة دينها)) ؟

■■ **الجواب :** ١– الواجب صلاة الجمعة مع أهل البلد في المسجد الذي تقام فيه الجمعة ، سواء في ذلك عمال الشركات وغيرهم ؛ لأن اللَّه سبحانه أمر المسلمين بالسعي إليها عند النداء لها ، فقال سبحانه : ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا نُودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر اللَّه وذَرُوا البيع ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون ۞ فإذا قضيت الصلاةُ فانتشروا في الأرض ﴾ [الجمعة : ٩، ١٠] .

٢– يجب العمل بكل ما صح عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم متواترًا أو آحادًا في العقائد وغيرها ؛ لأنّ اللَّه سبحانه يقول : ﴿ وما آتاكم الرسولُ فخذوهُ وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [الحشر : ٧] ، وهذا يشمل أخذ كل ما صح عنه والعمل به ، والتفريق بين العقائد وغيرها في ذلك إنما هو قول المبتدعة من المعتزلة ومن سار على نهجهم من علماء الكلام ، وهو قول باطل مردود على أصحابه .

٣– لا بأس بأكل اللحم الذي لم ينضج إذا لم يضر بالصحة .

٤– العلماء المقتدى بهم هم أهل السنة والجماعة العاملون بعلمهم المتمسكون بسنة نبيهم ، والمراد بالحديث الذي فيه الإخبار بظهور المجددين كل من أحيا سنة الرسول صلى اللَّه عليه وسلم ورد البدعة ودعا إلى اللَّه على بصيرة .

تعليق الأحجبة والتمائم شرك بالله

■ **ويسأل : إبراهيم عبد العليم - أسيوط :**

١- أعمل في بعض المخابز ، ويقوم صاحب المخبز بتهريب بعض أجولة الدقيق أمام عيني . فهل عليَّ وزر وهل أعمل في هذا المخبز أم لا ؟

٢- ما هي الطريقة الشرعية لفك الربط والسحر ؟

٣- إذا كان هناك بهيمة ممتنعة عن الأكل ومريضة . يقوم الناس بالذهاب إلى (شخص) فيكتب لهم حجابًا به كلمات لا تقرأ ، ثم يُعلق الحجاب عليها . فما الحكم في ذلك ؟

■■ **الجواب :** ١- يجب عليك مناصحة الشخص المذكور ، فإذا لم يمتثل فاترك العمل عنده والتمس عملا بعيدًا عنه أفضل

٢- الطريقة الشرعية لحل السحر ؛ حله بالأدعية الشرعية وقراءة القرآن الكريم والأدوية المباحة .

٣- هذا العمل شعوذة واحتيال ، فلا يجوز الذهاب إلى صاحبه ؛ لأنَّ في الذهاب إليه إعانة له على عمله الباطل وإقرارًا له على باطله .

■ **يسأل : محمد عبد العزيز - المحلة الكبرى :**

هل صحيح أن اليهود والنصارى كفار ؟ وأن من لم يكفرهم فهو على خطر عظيم ؟ وما حكم تهنئة النصارى بأعيادهم ؟

■■ **الجواب :** من لم يؤمن بمحمد صلى اللَّه عليه وسلم ويتبع ما جاء به من الكتاب والسنة فهو كافر ، سواء كان من اليهود ، أو النصارى ، أو غيرهم ، قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون اللَّه فاتبعوني يحببكم اللَّه ويغفر لكم ذنوبكم واللَّه غفور رحيم ۝ قل أطيعوا اللَّه والرسول فإن تولوا فإن اللَّه لا يحب الكافرين ﴾ [آل عمران : ٣١ ، ٣٢] ، ولا تجوز تهنئتهم بأعيادهم ؛ لأنَّها أعياد باطلة وكفرية ، واللَّه أوجب علينا معاداتهم والبراءة منهم ، قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن اللَّه لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [المائدة : ٥١] .

* * *

بقلم أ / محمود المراكبي

عقائد الصوفية

في ضوء الكتاب والسنة

الحلقة الخامسة

ابن عربي شيخ العارفين أم هادم للدين ؟!

الحمد للّه وكفى ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه وسلم . تحدثنا في المقالات السابقة عن مراحل تطور الفكر الصوفي ، بدءًا من الشطح ومراحله ، ومرورًا بالقول بالفناء والبقاء . ونتعرض اليوم لقضية من أخطر قضايا التصوف ؛ وهي وحدة الوجود ، ولن يمر الحديث عنها دون أن نقدم واضعها محيي الدين بن عربي ، والقارئ لمؤلفاته يعرف عنه وينكر ، وهو في نظر الناس إما شيخ العارفين ، أو هادم للدين ، وقبل أن ندخل في لب الموضوع علينا أن نقدم لها فنقول وباللّه تعالى التوفيق :

يحاول الإنسان منذ فجر التاريخ أن يتعرف على خالق الكون ، والحكمة من وجود المخلوق ، وكيف يتقرب المخلوق إلى خالقه ؟ وقد انقسم الناس في قضية وجود الخالق والمخلوق إلى ثلاثة فرق هي :

١ – قوم أقروا بوجود خالق للعالم أوجده من عدم ، وفرقوا بين وجوده ووجود مخلوقاته ، وهؤلاء هم أتباع الرسل .

٢ – وقائلون بوجود العالم وينفون بالكلية وجود خالق له ، وهؤلاء هم الشيوعيون والملاحدة ، أو ينفون بعضًا من صفاته ، وهم الكافرون .

٣ – وقائلون بوجود واحد للخالق ، وينفون وجود العالم ، ويرون الوجود الحقيقي للخالق فقط وما العالم عندهم إلا مظاهر وتجليات للخالق ، ويؤمن هؤلاء بوحدة الوجود ، ويُسمون الاتحادية أو الوجودية .

ولن نناقش في مقالنا هذا أفكار الشيوعيين ، فيكفيهم انهيار دولتهم فوق رءوسهم ، وإنما سيدور حديثنا حول معتقدات ومفاهيم أصحاب وحدة الوجود ، ولا بد من أن نسلم في البداية بعجز المصنوع عن التعرف على صانعه ، ومن رحمة الخالق سبحانه وتعالى بخلقه أن هيأ لهم أسباب معرفته وحصرها في مجالين أساسيين هما :

١ – النقل .   ٢ – العقل .

١ – النقل : وهو ما يأتي عن طريق إرسال الرسل ، وابتعاث الأنبياء ، مبشرين ومنذرين ، آمرين بأوامر اللّه ، وناهين عما يغضبه ، معهم الدليل والبرهان وهم لا يتكلمون من عند أنفسهم ، وإنما يتحدثون عمن بعثهم ، وأن الشرائع تمثل أسلوب سعادة البشر ، وعلى قدر مخالفة المنهج الإلهي يشقى الفرد ، ويفسد المجتمع .

٢ – العقل : وهو التدبر والتفكر في آيات اللّه التي تظهر تباعًا في الآفاق وفي الأنفس ، حتى يتبين الحق للناس ، فالعقل يوصل إلى المعبود ، ثم يقف عند هذا الحد ، وهلاك العقل أن يتفكر في ذات الإله .

فأهل الإيمان يعتمدون على النقل ، ولا مجال للشطح في وجود النص الصحيح ، ثم يتفكرون بعقولهم وأفئدتهم في دوائر المعرفة التي أشار إليها الوحي الإلهي ، ومنها التعرف على قدرة اللّه وحكمته ودقيق صنعته ، وذلك بالتدبر في الكون ؛ أما الفلاسفة فيعتمدون على العقل فقط ، ويسمحون له أن يجوب آفاق أعلى من طاقته ، وبالتالي يصلون إلى مفاهيم بعيدة عن الرسالات ، ونهايات جميع محاولات الفلاسفة لم تصل إلى بدايات وحي السماء ، وقد كان لحركة الترجمة التي بدأت في العهد الأموي ، واتسعت في زمن المأمون دورها في مزج الدين بالفلسفة ، حتى وصلت إلى نظرية وحدة الوجود التي أرساها شيخ الصوفية الأكبر ، والكبريت الأحمر « ابن عربي الأندلسي » ، وكل ما فعله الرجل أن أخذ نظرية وحدة الوجود التي يدين بها الهنود والبراهمة من قرون عديدة قبل ظهور الإسلام ، ثم استعمل شطحات الصوفية عن الفناء والبقاء ، ثم استعان بفكرة قدم نور النبي صلى اللّه عليه وسلم والأئمة التي ابتكرتها الشيعة الإسماعيلية من بعدهم ، وروج لها الحلاج وغيره ، ثم صاغ هذه الأفكار في نظرية وحدة الوجود ، وهذا ما يؤكده العلماء في قولهم : (ولم يكن لمذهب وحدة الوجود وجود في الإسلام في صورته الكاملة قبل ابن عربي ، فهو الواضع الحقيقي لدعائمه ، والمؤسس لمدرسته ، والمفصل لمعانيه ومراميه ، والمصور له بتلك الصورة النهائية ، التي أخذ بها كل من تكلم في هذا المذهب من المسلمين من بعده) . [مقدمة « فصوص الحكم » د. أبو العلا عفيفي ٣٥] .

وقبل أن نتحدث عن مصادر نظرية وحدة الوجود ينبغي أن نشير إلى بضاعة الفلاسفة وصور اتصال الخالق بالمخلوق كما يراها الباطنية وأصحاب العقائد المنحرفة وهي تتلخص في الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، ونعرض تعريفًا موجزًا لكل صورة من هذه الصور :

١ – الحلول الخاص :

وأصحاب هذا المبدأ يرون أن اللّه ، جل جلاله ، يحل في أشخاص معينة فقط ؛ ومنهم النسطورية من النصارى ، الذين يقولون بحلول اللاهوت في الناسوت ، وأن اللّه حل في عيسى ابن مريم ، عليه السلام ، وهو أيضًا قول الرافضة وغلاة الشيعة الذين يقولون أن اللّه حل في علي بن أبي طالب ، رضي اللّه عنه ، وفي أئمة آل البيت ، كما سبق أن زعم ذلك الحلاج أيضًا ، ومنطق هؤلاء ؛ أن اللّه – تعالى عن ذلك – يتنزل في الخلق ، ويحل فيهم فتفنى صفات البشرية وتبقى فيهم صفات الربوبية ، فالحلول هو التطبيق الكامل لفكرة الفناء والبقاء التي نادى بها أبو سعيد الخراز .

٢ – الاتحاد الخاص :

ويعتقد أصحاب هذه النظرية أن العبد إذا ارتقى بالطاعات ، وصَفَت نفسه بالمجاهدات ، فَنِيت صفاته الذميمة وبَقِيت صفاته الحسنة ، فإن العبد يسمو وتشف روحه ، كما تصفو طبيعته حتى يتحد وجوده بوجود ربه ، وهذا قول يعقوبية النصارى ، حيث يقولون باختلاط اللاهوت والناسوت في عيسى ، عليه السلام ، وقد زعم بعض الصوفية الوصول إلى مقام الاتحاد الخاص ؛ منهم أبناء الطريقة الجيلانية فيما ينسبونه للشيخ الجيلاني[1] ، وفي توسلهم بشيخهم بالوسيلة المسماة الغوثية ، ويعتقدون أن الشيخ تلقاها بطريق الإلهام القلبي ، والكشف المعنوي – ننقله كاملاً فيما بعد – ونذكر هنا نبذة عنه ؛ وفيه حوار بين الشيخ وبين اللّه – تعالى اللّه عما يقولون علوًا

---

[1] نعتقد أن الشيخ الجيلاني بريء من توسل أتباعه به ، خاصة والرجل شهد له بالصلاح كبار علماء زمانه .

كبيرًا – لا يبدأ خطاب اللّه للجيلاني إلا بقوله تعالى : يا غوث الأعظم ، يقول الجيلاني في نهايتها : (ثم قال اللّه لي : يا غوث الأعظم ، الاتحاد حال لا يعبر بلسان المقال ، فمن آمن به قبل وجود الحال فقد كفر ، ومن أراد العبادة بعد الوصول فقد أشرك باللّه العظيم) . [« الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية » . إسماعيل محمد سعيد ٦ ، وهو متوفى في ٥٦١ هـ].

٣– وحدة الوجود :

يعتبر أصحاب نظرية وحدة الوجود أنهم فقط الموحدون حقًا ، ومن سواهم مشركون ، فمن لم يتحقق في مذهبهم يرى للعبد وجودًا وللّه وجودًا آخر ، فإذا قال : أشهد أن لا إله إلاّ اللّه ، قالوا له : إذا كنت تشهد لنفسك وجودًا مع اللّه ؟ فأنت إذن تؤمن بوجود اثنين ؟! وبالتالي تشرك نفسك مع اللّه ، إنك ما زلت في مقام الحجاب والشريعة ، أما هم الواصلون إلى فهم وحدة الوجود ؛ فإنهم يقولون : طالما أن : (اللّه معكم أينما كنتم) ، وهو : (أقرب إلينا من حبل الوريد) ، فلم نقول أن هناك وجودين ؟ بل هو موجود واحد لا ثاني له ، وهو وجود اللّه على الحقيقة ، وهذا الوجود في الواقع هو مجموع مخلوقاته التي انبثقت عنه كمظاهر له ، ويقولون : هذا الوجود إذا نظرت له في ظاهر الأمر وجدت خلقًا ، أو إن شئت قلت : إن اللّه هو الظاهر بمخلوقاته ، وإذا نظرت إلى المخلوقات لا تظن أنها خلقًا ، بل يجب أن تفنى هذه الظواهر من أمام عينيك ، حتى ترى اللّه باسمه تعالى الباطن ، فما ثم خلق ، ولا ترى في الكون إلا اللّه ، وهذا هو المراد من قولهم : « توحيد العامة ؛ لا إله إلاّ اللّه ، وتوحيد الخاصة ؛ لا موجود إلا اللّه » . [« موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده سيد المرسلين » ، شيخ الإسلام مصطفى صبري (٣/٣٥)] .

لذا يرى أصحاب وحدة الوجود أن الحلول والاتحاد الخاص فَهْمٌ ناقص ، فالأمر عندهم ليس فيه حلول ولا اتحاد ؛ لأنّ الحلول والاتحاد مزج بين وجودين ، ووحدة الوجود هي الإزالة لهذا المزج ، كما يحدد ابن عربي في فتوحاته غاية نظريته ، بقوله : « التخليص من المزج » ، كما أوضح ذلك شعرًا حيث يقول :

نحن المظاهر والمعبود ظاهرنا
ومظهر الكون عين الكون فاعتبروا
ولست أعبده إلا بصورته
فهو الإله الذي في طيه البَشَرُ

✱ مصادر نظرية وحدة الوجود :

إن وحدة الوجود عقيدة قديمة دان بها بعض الأمم قبل الإسلام ، ولم تكن مُغَلّفة بإطار من السرية أو السمو عن فهم العامة وإدراكهم ؛ لكونها من المذاقات العالية ، فهي عقيدة العام والخاص في الديانة الهندوسية ، فالبراهمة يقولون : إن براهما هو القوة الكامنة العظمى في الوجود ، بل هي الكون الحقيقي كله ، والبراهمة شيء واحد هو جوهر العالم الخفي الذي لا تحده قيود الزمن ، كما أن شعوب الصين كانت تؤمن بالاتصال بالتاوي ، والتاوي اسم يطلق مرة على الإنسان ، ومرة يوصف الإله بالتاوي ، وهذا الفهم قريب من الحقيقة الكلية عند ابن عربي .

ويقول عدد من المستشرقين : إن ابن عربي تأثر بابن ميسرة وابن برجان ، بينما يرى الآخرون أنه لم يتأثر بأحد ، وأنه هو الواضع الأول والمؤسس لهذه النظرية .

ورغم اتفاقنا مع مجموع الآراء التي حاولت الوصول إلى الروافد التي غذت أفكار الرجل ، إلاّ أننا نضيف إلى ما سبق : أن ابن عربي تأثر وبوضوح بمن سبقه من الصوفية أصحاب الشطح المنادين بالفناء والبقاء ، ونحن نرى أن أقوال أبي سعيد الخراز ، وأبي اليزيد البسطامي والحلاج كانت هي اللبنات

الأساسية التي صاغ منها ابن عربي أفكاره ، بل إن أكثر العناصر التي بنى عليها نظريته سبقه إليها أحد هؤلاء الثلاثة ؛ فالخراز وضع تعريفًا للفناء والبقاء ، واستثمره القشيري وحرّف الفناء إلى فناء صفات العبد ببقاء صفات الإله ، والبسطامي فتح باب تعطيل الشريعة ، وأن الحقيقة مخالفة للشريعة وهو الذي مهد لأفكار الفناء ، ثم جاء الحلاج فقنن الفناء ، واعتبر توحيد المسلم لربه نوعًا من الإشراك ، وأن أهل الحقائق يفنون عن ذواتهم ، فيرون التوحيد بمعنى ؛ لا موجود إلاّ اللّه ، كما نراه يقرر أن الأديان كلها واحد ، ولا فرق بين الكفر والإيمان .

إن الباحث حين يجمع هذه العناصر جنبًا إلى جنب ؛ لا يجد صعوبة أن يُقلص دور ابن عربي ؛ لأنّه في الحقيقة قد أضاف شيئًا يسيرًا إلى جملة ما استقاه من أفكار أهل الشطح ، ويكون دور ابن عربي هو النتيجة المنطقية لكل ما سبقه من مقدمات ، وبالتالي يكون إسهامه فقط في بلورة هذه العناصر وصياغتها في شكل رمزي إشاري إلى حد بعيد ، ولعل هذا هو السبب الذي نرى ابن عربي كثيرًا ما يذكر أسماء الحلاج والبسطامي والخراز بمناسبة وغير مناسبة ، ومن أمثلة ذلك ؛ ما قاله في « الفتوحات » عن الإسراء والمعراج : (فكان من آياته التي أراه – أي أن اللّه سبحانه أطلع رسوله صلى اللّه عليه وسلم ليلة إسرائه – كونه تدلى في حال عروجه ، وهذا عين ما أشار إليه أبو سعيد الخراز في قوله عن نفسه : ما عرفت اللّه إلاّ بجمعه بين الضدين ، فلولا أنت ما كان دنو ولا تدل ، فكان بهويته في الجميع في حال واحدة ، بل هو عين الضدين ، فأنت من حيث هويتك لا نعت لك ولا صفة .

وقيل لأبي اليزيد : كيف أصبحت ؟ فقال : (لا صباح لي ولا مساء ، إنما الصباح والمساء لمن تغير بالصفة ، وأنا لا صفة لي ، فإني بكيت زمانا ، وضحكت زمانا ، وأنا اليوم لا أضحك ولا أبكي ، والصعود والهبوط نعت ، فلا صعود للعبد ، ولا هبوط من حيث عينه وهويته ، فالصاعد عين الهابط ، فما دنا إلا عين من تدلى ، فإليه تدلى ومنه دنا) . [« الفتوحات المكية » ابن عربي (٤/٤٠)] .

● الحقيقة المحمدية :

إن الشيعة حين انتابتها نوبات الغلو ، وقالت بقدوم نور الأئمة لزمهم القول بقِدَم نور جدهم سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم ، والمقصود بالقِدَم : أن نور النبي جزء أو قبضة من نور اللّه ، جل وعلا ، إذ لا يوصف بالقِدَم إلاّ اللّه وحده ، وكل ما في الكون مُحدث أوجده اللّه بقدرته ، وحتى يفسح الغلاة لأنفسهم مجال الظن وافتراء الكذب ؛ راحوا يتهربون من ألفاظ الخلق ، والعبد ، والنبي ، والرسول ، إلى مصطلحات أفلاطون وغيره من الفلاسفة الذين لا يعترفون بالخلق من عدمه ؛ ولكنهم يؤمنون بالفيض والتعين .

ويمزج مشايخ الصوفية مفاهيم الشيعة والفيض الأفلاطوني والتعين الفلسفي ، ويضعون أورادهم ويقدمونها للمريدين على أنها فتوحات الشيخ وأسراره ، وأنى للمريد أن يفهم مرامي الورد ومقاصده ، وبالتالي يتلقى عبادته الجديدة للّه ، تبارك وتعالى ، على أنها علوم الخاصة ، والمشايخ يحذرون المريدون من أسرار الطريق ، ولا يجوز في سلوك القوم إفشاء الفتوحات ، ويحذرون المريد بقولهم : (ولا يجوز للمريد إفشاء سر من الأسرار ، إلاّ أن يأمره الشيخ أو الشرع بإذاعته ، وربما غلب عليه الحال فأفشى سر الربوبية ، فوقع له كما وقع للحلاج ، خاصة في هذا الزمان الذي استتر فيه الأولياء الصادقون والعلماء العاملون ، وصار الفقير إذا وقع في ورد له لا يهتدي غالب الناس إلى خروجه من تلك الورطة ، وربما قُتل ذلك الفقير ظلمًا ، فالكتمان واجب على المريد حتمًا للسلامة) . [« الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية » عبد الوهاب الشعراني (٩٠)] .

ويروي الشعراني قائلاً : (سمعت عليًّا المرصفي يقول : لا يُطلب من الأشياخ الكلام على الأسرار) .

وينسب إلى سهل بن عبد اللّه التستري قوله : (للربوبية سر لو أُظهر لبطلت النبوة ، وللنبوة سر لو ظهر لبطل العلم ، وللعلماء باللّه سر لو أظهروه لبطلت الأحكام) . [« قوت القلوب » لأبي طالب المكي] .

ولا يستطيع كثير من الناس أن يحل هذه الألغاز ولا فهم مرامي هذه العبارات الممتلئة بالأسرار ؛ إلاّ إذا أدرك المقصود بالحقيقة المحمدية ، والإنصاف يقتضي أن نتعرف على مصطلح الصوفية حول الحقيقة المحمدية من كتبهم والتي جاء فيها :

✱ الحقيقة المحمدية :

هي الذات مع التعين الأول ، وهي الاسم الأعظم ، وسر الحقيقة ما لا يفشى من حقيقة الحق في كل شيء) . [« معجم مصطلحات الصوفية » د / عبد المنعم الحفني (٧٩)] .

ويعرفها القاشاني بقوله : (هي الذات مع التعين الأول ، فله الأسماء الحسنى كلها ، وهي الاسم الأعظم) . [« اصطلاحات الصوفية للقاشاني »] .

ويعرفها محمد غازي بقوله : (الحقيقة المحمدية ؛ ضامة لجميع الذوات ، هادية بأمر اللّه ، لا تحدث أمرًا إلا بإذنه ، وهي قديمة قِدَمَ الخالق ، وهي خلق دون إيجاد ، إذ هي الوجه المتعين للنور الأول) . [« النصوص في مصطلحات الصوفية » محمد غازي عرابي (١٠٠)] .

ويقول ابن عربي : (الحقيقة المحمدية أو الإنسان الكامل ؛ فالإنسان على صورة الحق من التنزيه والتقديس عن الشوب في حقيقته ، فهو المألوه المطلق ، والحق سبحانه هو الإله المطلق ، وأعني بهذا كله الإنسان الكامل) . [« الفتوحات المكية » محيي الدين بن عربي (٢/٦٠٣)] .

ولابن عربي أيضًا تعريف آخر يقول فيه : (الحقيقة المحمدية ، أو الروح المحمدي ؛ هو المظهر الكامل للذات الإلهية والأسماء والصفات) .

✱ غموض كلام ابن عربي :

ولد محمد بن علي – المعروف بابن عربي – سنة ٥٦٠ هـ بمرسية من بلاد الأندلس ، فشب في وسط جو ملبد بالغيوم ؛ حيث لقي كثيرًا من الصوفية المتفلسفين بالأندلس مصيرًا شنيعًا ، ومن هؤلاء ؛ ابن قسي رئيس فرقة المريدين ، والذي قُتل في سنة ٥٤٦ هـ ، ثم ما لبث أن رأى شيخه ابن برجان وابن العريف يموتون مسمومين بأمر سلطان شمال أفريقيا علي بن يوسف بعد سجنهما مدة طويلة . [« ميزان الاعتدال » (٦٥٩/٣)] .

وبرغم أن وحدة الوجود فلسفة قديمة معروفة قبل الإسلام ، اعتنقها أقوام كثيرون ، ولا ينسب لابن عربي أدنى فضل في اختراعها ، وإنما دوره البارز في تغليف النظرية بقشرة إسلامية دخل بها إلى قلب أهل السنة ، إلاّ أن الشيعة والإسماعيلية وجدت في أفكار ابن عربي دليلاً على صحة أقوالهم ، ولهذا تراهم يثنون عليه في كتبهم ولا يذكرونه إلاّ بالألقاب التي يروجون لها ، ومنها ؛ محيي الدين ، والشيخ الأكبر ، وخاتم الأولياء ، والكبريت الأحمر ، وغير ذلك .

والذي يقرأ كتب ابن عربي يجد مشقة كبيرة في تتبع أفكار الرجل ، لا سيما إذا قرأت له ؛ « الفتوحات المكية » ، أو « مواقع النجوم » ، أو « عنقاء مغرب » ، أو « شجرة الكون » ، وهي مؤلفات كتبها قبل أن تكتمل نظريته عن وحدة الوجود ، أما من يطلع على آخر ما كتب مثل « فصوص الحكم » ؛ فإنه يرى الفكرة واضحة انقشع عنها الغموض ، وعبّر عنها كاتبها بعد أن تخلى عن خوفه القديم أن يرمى بالكفر والزندقة ، وأيضًا بعدما حقق شهرة وأتباعًا وحماية كافية .

وإليك ما ذكره الدكتور / زكي مبارك في كتابه الرائع « التصوف الإسلامي » ؛ حيث يقول : (وقد تأملت طويلاً في كتاب « الفتوحات » ، فرأيت ابن عربي يدور حور فكرة وحدة الوجود دورانا لبقًا ، ولا يكاد يُفصح عنها إلاّ عن طريق الإيماء) .

ولنترك ابن عربي يشرح لنا نظريته بنفسه ، وسنبدأ من « الفتوحات » ، حيث يجنح الشيخ الأكبر إلى الرمز والإشارة وأسلوب السؤال والجواب ، فيقول : (إيجاز البيان بضرب من الإجمال ؛ بَدْءُ الخلق الهباء ، وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية ، ولا أين يحصرها لعدم التمييز ، وممّ وُجد ؟ وُجد من الحقيقة المعلومة التي لا تتصف بالوجود ولا بالعدم . وفيم وُجدَ ؟ في الهباء ، وعلى أي مثال وُجد ؟ الصورة المعلومة في نفس الحق ، ولم وجد ؟ لإظهار الحقائق الإلهية ، وما غايته ؟ التخليص من المزجة) . [« التصوف الإسلامي في الآداب والأخلاق » د / زكي مبارك (١٢٨)] .

ثم يُفصّل هذا الإيجاز بقوله : المعلومات أربعة وهي :

١ - **الحق تعالى** : وهو الموصوف بالوجود المطلق ، وهو موجود بذاته ، والعلم به عبارة عن العلم بوجوده ، ووجوده ليس غير ذاته ، مع أنه غير معلوم الذات ، ولكن يُعلم ما تنسب إليه من الصفات .

٢ - **ومعلوم ثان** : الحقيقة الكلية التي هي للحق وللعالم لا تتصف بالوجود ، ولا بالعدم ، ولا بالحدوث ، ولا بالقِدَم ، هي في القديم إذا وصُف بها قديمة ، وفي المُحدَث إذا وصف بها مُحدَثه ، ولا تُعْلَمُ المعلومات قديمها وحديثها حتى تعلم هذه الحقيقة ، ولا توجد هذه الحقيقة حتى توجد الأشياء الموصوفة بها ، فإن وجد شيء عن غير عدم متقدم - كوجود الحق وصفاته - قيل فيها موجود قديم ؛ لاتصاف الحق بها ، وإن وجد شيء عن عدم كوجود ما سوى الله وهو المحدث الموجود بغيره ، قيل : إنها مُحدثة ، وهي في كل موجود بحقيقتها ، فإنها لا تقبل التجزؤ ، فما فيها كل ولا بعض ، ولا يُتوصل إلى معرفتها مجردة عن الصورة ، بدليل ولا برهان ، فمن هذه الحقيقة وجد العالم بواسطة الحق تعالى ، وليست بموجودة فيكون الحق قد أوجدنا من موجود قديم ، فيثبت لنا القدم ؛ وكذلك لتعلم أيضًا أن هذه الحقيقة لا تتصف بالتقدم على العالم ، ولا العالم بالتأخر عنها ، ولكنها أصل الموجودات عمومًا ، وهي أصل 'وهر ، وفلك الحياة ، والحق المخلوق به وغير ذلك ، وهي الفلك المحيط المعقول ؛ فإن قلت : إنها العالم ، صدقت ، أو : إنها ليست العالم ، صدقت ، أو : إنها الحق ، أو : ليست الحق ، صدقت ، فهي تقبل هذا كله ، وتتعدد بتعدد أشخاص العالم ، وتتنزه بتنزه الحق .

٣ - **ومعلوم ثالث** : وهو العالم كله ؛ الأملاك والأفلاك ، وما تحويه من العوالم والهواء والأرض ، وما فيهما من العالم ، وهو الملك الأكبر .

٤ - **ومعلوم رابع** : وهو الإنسان .

وسنلقي من كلام ابن عربي الضوء على بعض النقاط التي تساعدنا على فهم مرامي كلامه :

١ - أول موجود هي الحقيقة المحمدية ، ويسميها ابن عربي بالحقيقة الكلية ، والتي وُجدت من حقيقة معلومة لا تتصف بالوجود ولا بالعدم .

٢ - لاحظ قوله : المعلومات أربعة ، ولم يقل : الموجودات أربعة .

٣ - المعلوم الثالث ؛ هو الكون ، والمعلوم الرابع ؛ هو الإنسان ، ومجموعهما هو ما تسميه كل الشرائع بالخلق ، فكأن ابن عربي يقول : المعلومات ثلاثة هي : الحق تعالى ، والحقيقة الكلية ، والخلق .

٤ - ما أضافه ابن عربي بين معلومة الحق ومعلومة الخلق هي معلومة الحقيقة الكلية .

وللحديث بقية ، وإلى اللقاء في الحلقة القادمة إن شاء الله .

أ / محمود المراكبي

اليهود والمتهودون

واللعنة والغضب

بقلم فضيلة الشيخ

مصطفى درويش

العالم الإسلامي الآن يغلي ؛ لأن اليهود علقوا ملصقات في بلدة الخليل تسخر من رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ومن القرآن ، وقبل ذلك غليان آخر لحريق المسجد الأقصى ، وغليان ثالث لحصد المصلين بالرصاص ، وغليان رابع للنفق تحت المسجد الأقصى ، ثم يهدأ الغليان شيئًا فشيئًا ، ويعود الهدوء كأن شيئًا لم يكن ، ولم يبق إلا أن يضعوا لأنفسهم حائط مبكى ينتحبون عنده كلما فعل اليهود شيئًا .

اليهود - بوصف القرآن هم - أصحاب غضب وأصحاب لعنة : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ﴾ [المائدة : ٧٨] ، فهي لعنة مستمرة على لسان الأنبياء ، برغم الفاصل الزمني بين داود وعيسى ، عليهما السلام ، وإذا كانوا يسخرون من خاتم النبيين صلى اللّه عليه وسلم ، فهم من قبل قتلة أنبياء ، والعالم الإسلامي دائمًا يتجاهل وصف اليهود في القرآن ، والذي يصفهم هو العليم بما تخفي صدورهم ، وهذه الصفات لا يمكن أن تزول أو تتغير ؛ لأن القرآن يعطينا الحقيقة إلى قيام الساعة ، فإذا قال : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ [المسد : ١] ، فلا يمكن لأبي لهب أن يتغير ويخرج من هذا التب ، واليهود يعلمون أن محمدًا صلى اللّه عليه وسلم رسول اللّه وخاتم الأنبياء .

ويعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم ، لماذا ؟ لأنه الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة ، والتوراة أقدس كتاب عند اليهود ، والكتابة أقوى دليل للإثبات ، واليهود عبدة ذهب في الماضي والحاضر ، في الماضي عجل السامري المصنوع من حلي المصريين المنهوبة ، وفي الحاضر عبدة دولار ومارك وغيره ، ومعابدهم هي البنوك ، واليهود هم أهل المراوغة والفسق والخداع والتحايل للإفلات من المسئوليات ، فهم الذين حُرّم عليهم الصيد يوم السبت ، فصنعوا للحيتان أحواضًا وشرعوا في صيدها باقي أيام الأسبوع ، وغاب عنهم أن مجرد الحجز في أحواض هو الصيد ، واليهود جبناء في الحروب ، فهم الذين رفضوا الأمر بدخول الأرض المقدسة ، وقالوا : ﴿ إن فيها قومًا جبارين ﴾ [المائدة : ٢٢] ، وقالوا لموسى ، عليه السلام : ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا ﴾ [المائدة : ٢٤] ، وهم يقاتلون بسلاح وتخطيط غيرهم .

واليهود ناقضون للعهد ناكرون للجميل ، فبعد أن نجاهم اللّه من فرعون وظلمه وجعل لهم في البحر طريقًا يبسًا بعد ذلك لما رأوا العاكفين على الأصنام

قالوا : ﴿ يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة ﴾ [الأعراف : ١٣٨] ، نقضوا عهد الإله الحق وأنكروا جميله .

ولا مانع عند اليهود من العبث حتى بالكتب المقدسة ، فهم الذين قالوا في توراتهم : إن اللّه استراح في اليوم السابع بعد خلق السماوات والأرض ، وإنه حزن وتأسف في قلبه لخلق آدم !!

وإنه دخل مع يعقوب في مصارعة وشرب اللبن وأكل الزبد مع إبراهيم ، عليه السلام ، وكل ذلك وأبشع منه في مصنفاتهم التي أطلقوا عليها زورًا التوراة !!

بل وألصقوا أبشع التهم بالأنبياء ، فقالوا عن إبراهيم ، عليه السلام : إنه باع امرأته لفرعون مصر بقر وغنم وحمير ، وقال : هي أختي !!

وإن يعقوب ، عليه السلام ، سرق النبوة من أخيه عيسو ، ونوح شرب الخمر وتعرى ، ولوط ارتكب الزنى مع ابنتيه ، وداود زنى بامرأة قائده وغدر به حتى قُتل غدرًا في الحرب .

وقالوا عن سليمان ، عليه السلام : النسوة أملن قلبه وراء آلهة أخرى بنى لها المعابد ، وكانت له ألف امرأة زوجات وسراري ، ولا مانع عندهم من أن يطلق على المصنفات التي تحوي وتلصق أحط الصفات بالأنبياء أن يُطلق عليها توراة !!

ولأنّ رسول الإسلام الخاتم صلى اللّه عليه وسلم لم يستطيعوا أن يدسوا فيما نزل عليه شيئًا من هذا الإفك ، فلجئوا إلى الملصقات والنشرات !!

ولكن ما الذي ينبغي أن يفعله المسلمون ؟ هل يقابل ذلك بالتهور والاندفاع والتصريحات والبيانات !! هل يقابل بالدفاع العصبي الطائش ؟ لقد دافع أبو طالب عن رسول الإسلام ؛ ولكنه لم يكن متابعًا له ، فهل انتفع بدفاعه ؟!!

وهكذا العالم الإسلامي يهب للدفاع والتصريحات والبيانات وغالبيته العظمى أبعد ما يكون عن متابعة رسول الإسلام ، تسير في شوارع بعض الدول الإسلامية فتجد المظهر اليهودي والذي يدل على متابعة اليهود والانفصام الكامل عن منهج رسول الإسلام ؛ خمارات مفتوحة وعلب ليل ومراقص وتعر شبه كامل على الشواطئ ، ثم الخروج على الشريعة التي أتى بها رسول الإسلام ، ومحاكاة للقوانين اليهودية الصليبية ، لقد اعترف أبو طالب بمنهاج النبوة ودافع عن صاحب المنهاج ، بل وقال في قصيدته :

وعرضت دينًا قد عرفت بأنه
من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة
لوجدتني سمحًا بذاك مبينا

وهكذا دافع أبو طالب ورفض المتابعة ، فمات على شركه وكفره ، ودافعت السيدة خديجة ، رضي اللّه عنها ، عن رسول الإسلام وتابعته وقالت : كلا واللّه لا يخزيك اللّه أبدًا ، فماتت على الإيمان ، وبُشرت ببيت في الجنة ، وجاءها السلام من اللّه ، والعالم الإسلامي الآن يحاكي في دفاعه عن رسول الإسلام ، يحاكي دفاع أبي طالب ولا متابعة ، بل وصل الأمر بجانب كبير من هذا العالم الإسلامي إلى أن اعتبر مظهر الحضارة والمدنية والتقدم في المنهاج اليهودي الصليبي ، والعودة إلى الإسلام المنزّل رجعية وتخلف وعودة إلى الوراء !!

هكذا يوصف المنهاج الذي تحت ظلاله سقطت الإمبراطورية الرومانية ، وهوت الدولة الفارسية ، ومن قبل فرّ يهود خيبر .

والعالم الإسلامي الآن لا يعرف إلاّ الاحتفال بالهجرة والمولد النبوي ونصف شعبان وغيره ويظن أنه الإسلام ، وأغلب الظن أنه لخداع أصحاب الأمية الدينية ليظنوا أنهم على شيء !!

يجب أن نستيقظ من غفلتنا ، وأن نكون مع الصادقين ، فإن اللّه تعالى وصف الذين أرسلهم على

اليهود لدحرهم ، فقال : ﴿ عبادًا لنا أولي بأس شديد ﴾ [الإسراء : ٥] ، أما هذا العالم الإسلامي المرتد معظمه عن منهاج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يملك إلا دفاع أبي طالب فليست لديه الصلاحية لاستعادة المسجد الأقصى ، وإلا فهذه القلة اليهودية يتكرر منها ما يشكل عارًا وإهانة بالإسلام والمسلمين وهم يعيشون وسط عالم إسلامي كبير لا يملك إلا الاجتماعات والاحتجاجات والقرارات وهم في انتظار إهانة أخرى ، ولو تعرض اليهود لبقرة مقدسة لهب الهندوس في العالم كله دفاعًا عن شرفهم ، فماذا فعل العالم الإسلامي عند تعرض اليهود لرسول الإسلام ؟!!

ماذا نقول ؟ هل وصلنا إلى الحال التي فيها أصبحنا : ﴿ وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ [محمد : ٨] ؟! أو وصلنا إلى الحال التي فيها : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ [المائدة : ٥٤] ؟!!

إن الإهانات التي يوجهها اليهود إلى رسول الإسلام وإلى الإسلام وإلى القرآن لن تمس الإسلام في شيء ؛ لأنَّ السحاب لا يضره نبح الكلاب ، ولكن ذلك في الواقع يضر المسلمين ، ويضر وجودهم وكرامتهم وكيانهم ، والرد على ذلك لا يكون بالتهور والاندفاع والقرارات والتصريحات ، الرد الصادق أن يجتمع ولاة أمر المسلمين في العالم أجمع للرد على ذلك بأن يظهروا الاحترام الكامل لمنهاج رسول الإسلام كرد فعل على أعمال اليهود وأن يتفقوا على إلغاء كل مخالفة في بلدانهم لمنهاج رسول الإسلام وأن يتفقوا على التطبيق الفوري لشريعة القرآن الذي نزل على رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ، وأن يتفقوا على إلغاء كل مخالفة لمنهاج رسول الإسلام ، وأن يتفقوا على موعد قريب لاجتماعهم لمتابعة ما تم الاتفاق عليه وهل نفذ أم لا ، حتى يتحرروا من الاجتماعات المسرحية التي يقصد بها إسكات الشعوب .

أما المسلمون فنقول لهم : الإسلام ليس هو جلباب أبيض قصير وغطاء للرأس وحلية وسواك يُوضع في الجيب ليظهر جزء منه كالقلم ، والإسلام ليس صدامًا مع السلطات لإقامة النموذج الإسلامي الكامل فتسيل الدماء ويسقط القتلى ومحمود يقتل أحمد ، والمستفيد هو ليشع وشالوم وكوهين ، الإسلام ليس هو الطيش والاندفاع والتهور ووضع الشيء في غير موضعه ، فذلك كله يحقق خسارة ولا يحقق كسبًا ، وأسوق قصة واقعية تؤكد ذلك : كنت أحاضر عن الإسلام في إحدى البلاد الأوربية ، والحاضرون جميعًا من الأجانب رجال ونساء ، فأمسك شاب مسلم بمكبر الصوت وقال في حماس بالغ : يجب على النساء أن يجلسن في الصفوف الخلفية فاعتبرن ذلك إهانة وخرج الجميع ولم ينتفعوا بشرح عقيدة الإسلام ومنهاجه ، وهذا يشبه الذي يصيح في الغريق : يجب أن يغطي عورته !!

الإسلام عقيدة وسلوك وإتقان للعمل ، والمفروض في خير أمة أُخرجت للناس أن تكون إمامًا يُقتدى بها ، لا أن تكون مقلدة تسير في درب ركاب اليهود وغيرهم ؛ لأنَّ الذين ينتصرون على اليهود هم المسلمون لا المتهودون .

مصطفى درويش
رئيس فرع سوهاج

باب السيرة

وقفات مع القصة في كتاب الله

﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل ﴾

فضيلة الشيخ / عبد الرازق السيد عيد

يقول تعالى : ﴿ واذْكر فى الكتاب إسماعيل إنّه كان صادقَ الوعْد وكان رسولا نبيًا ❁ وكان يأمُرُ أهلهُ بالصَّلاة والزَّكاة وكان عند ربّه مرْضيًّا ﴾ [مريم : ٥٥،٥٤] .

اذكر يا محمد وقصّ على قومك قصة أبيهم إسماعيل ، عليه السلام ، فمن هو إسماعيل ؟

روى مسلم في „ صحيحه „ من حديث واثلة بن الأسقع ، رضي اللّه عنه ، قال : سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول : „ إن اللّه اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشًا من كنانة ، واصطفاني من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم “ .

❁ وإسماعيل ، عليه السلام ، هو بكْرُ إبراهيم الخليل من هاجر المصرية ، عليها السلام ، وهو أول من فتق لسانه بالعربية الفصيحة ، وهو أبو العرب المستعربة ، وأول من ركب الخيل ، وهو نبي ، ابن نبي ، أرسله اللّه إلى قومه من قبائل جرهم والعماليق وأهل اليمن ، فكان أول رسول في العرب من نسل إبراهيم ، عليه السلام ، ولم يأت بعده رسول فيهم إلاّ محمد ، صلوات ربي وسلامه عليه ، حيث ختم اللّه به رسالته ، وأتمّ ببعثته كلمته .

❁ جاء ذِكْر اسمه صريحًا في كتاب اللّه في ثمانية مواضع ؛ منها أربعة في سورة “ البقرة ” ، ومن الأربعة موضعين ذُكِرَ فيهما في موضع شرف بمشاركته أبيه إبراهيم في بناء البيت الحرام ، في المكان الذي تركه فيه أبوه من قبل مع أمه الصابرة المحتسبة هاجر ، عليها السلام ، وقد أجرى اللّه الماء من تحت قدم إسماعيل كرامة وشرفا ، فكان هذا بركة ورحمة ، وكان مصدر عمران المكان ، وظلّت بركة الماء والمكان إلى يومنا هذا ، وستظل إلى أن يشاء اللّه .

❁ في أثناء إقامة البيت توجّه إسماعيل مع أبيه إبراهيم ، عليهما السلام ، وتضرّعا بالدعاء للّه رب العالمين : ﴿ ربَّنا واجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لكَ ومِن ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لكَ وأرِنا مَنَاسِكَنا وتُبْ علينا إنّكَ أنتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ❁ ربّنا وابْعَثْ فيهم رسولاً منهم يَتْلُو عليهم آياتِكَ ويُعلِّمُهُمُ الكتابَ والحِكْمَةَ ويُزكّيهمْ إنّكَ أنت العزيزُ الحكيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٨، ١٢٩] .

واستجاب اللّه دعوتهما ، وكانت الأمّة المسلمة التي ورثت ميراث إبراهيم وإسماعيل ، وكان النبي الخاتم الذي بعثه اللّه من أمة العرب يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وكان البيت

الذي رفع إبراهيم وإسماعيل قواعده هو قبلتهم ومثابتهم ؛ وهكذا ختم اللّه رسالته في هذه الدنيا بهذا النبيّ الذي جاء من نسْل إسماعيل ، وبعث حول البيت الذي بناه إسماعيل مع أبيه ، وحول الحجر الذي دُفن فيه ، وعند الماء الذي نبع بقدرة اللّه من تحت قدم إسماعيل ، ألا وهو محمد ، صلوات ربي وسلامه عليه ؛ فهو سيد الأنبياء ، وفخر بني آدم في الدنيا والآخرة ، وإن لم يكن لإسماعيل منقبة إلا هذه ، فأنعم بها .

● وجاء بعد ذلك ذكر إسماعيل ، عليه السلام ، مع الذين أنعم اللّه عليهم من النبيين ، وهداهم ، وأمر رسوله صلى اللّه عليه وسلم أن يسير على نهجهم .

إلا أنه قد جاء ذكره في سورة " مريم " في الآيات التي صدرنا به مقالنا هذا ذكرًا مستقلاً تشريفًا له وتكريمًا ، ووصفه القرآن الكريم بأوصاف كريمة ، وأول هذه الأوصاف ؛ صدق الوعد : ﴿ إنَّهُ كانَ صادِقَ الوَعْدِ ﴾ [مريم : ٥٤] ، وصدْق الوعد صفة مشتركة بين جميع الأنبياء ، لكن لماذا خصّ بها إسماعيل ، عليه السلام ؟

ذلك أنّه صدق من نفسه صدقًا مع اللّه لم يسبقه فيه أحد ، ولم يلحقه ، وذلك أنه وعد أباه إبراهيم ، عليه السلام ، بتقديم نفسه للذبح تنفيذًا لأمر اللّه ، وصدق فيما وعد صدقًا أثنى اللّه عليه فيه ، وسطرّه في كتابه الكريم يُتلى مادامت السماوات والأرض ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ قال يا أبتِ افْعَلْ ما تُؤمر ستجدُني إن شاء اللّهُ مِن الصابرينَ ﴾ الآية [الصافات : ١٠٢] ، وإذا علمنا أن إسماعيل في ذلك الوقت صغير السن ، فقد بلغ معه السعي ، ثم يصدر منه ذلك القول وذلك الوعد ، وبهذا الأسلوب ، إنما يدل ذلك على صفة كريمة أخرى وصفه اللّه بها ؛ ألا وهي الحلم ، والصلاح ؛ لأنّ إبراهيم ، عليه السلام ، قال : ﴿ ربِّ هَبْ لي مِن الصَّالحينَ ﴾ [الصافات : ١٠٠] ، فجاءت البشرى في الآية التي بعدها مباشرة : ﴿ فبشَّرْناهُ بغلامٍ حليمٍ ﴾ [الصافات : ١٠١] ، فكان الوصفانِ لازمينِ لإسماعيل ، عليه السلام ، الصلاح والحلم منذ نعومة أظفاره ، ثم جاء صدق الوعد في الموقف المتميز ، ونفذ إسماعيل ما وَعَد به أباه ، وأسلم نفسه للذبح مستسلمًا لأمر ربّه ، وأسلم إبراهيم كذلك واستسلم ، وجاء القرآن الكريم يصف هذا المشهد الرائع في غاية من البلاغة والإيجاز ، قال تعالى : ﴿ فلمَّا أسلما وتلَّهُ للجبين ۞ وناديناهُ أن يا إبراهيم ۞ قد صدَّقتَ الرُّؤيا إنّا كذلك نجزي المحسنين ۞ إنَّ هذا لهو البلاءُ المبينُ ۞ وفديناهُ بذِبحٍ عظيم ﴾ [الصافات : ١٠٣-١٠٧] .

وهكذا صدق إسماعيل ، عليه السلام ، في موقف البلاء المبين ، فاستحق أن يفرد بهذا الوصف ، وصدق إسماعيل ، عليه السلام ، فيما وعد به ربّه من الخير ، وفيما وعد به الناس .

﴿ وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة ﴾ ؛ وجاء محمد صلى اللّه عليه وسلم يأمر بما أمر به إسماعيل من قبل ، مستجيبًا لأمر ربّه في قوله تعالى : ﴿ وأمر أهلكَ بالصلاةِ واصطبر عليها لا نسألك رزقًا نحن نرزقك والعاقبةُ للتقوى ﴾ [طه : ١٣٢] .

فأمر النبيُّ صلى اللّه عليه وسلم أهله ، وأمر أمته بالصلاة والزكاة ، وأمرهم بكل معروف ، ونهاهم عن كل منكر .

﴿ وكان عند ربّه مرضيًّا ﴾ أي ؛ رضي اللّه عن إسماعيل وأرضاه في الدنيا والآخرة ، ورضي اللّه عن نبيّه محمد صلى اللّه عليه وسلم كذلك ، وعن الذين آمنوا معه واتبعوه وبايعوه على المنشط والمكره ، واتبعوا النور الذي أُنزل معه ، فتولاهم اللّه وأيدهم بنصره في الدنيا ، وكتب لهم الفوز في الآخرة ، وكل مسلم له من الولاية والنصرة والتأييد بحسب اتباعه لذلك النبي وصحبه الكرام ، فمن كمل اتباعه كمل توفيقه ، ومن قصَّر في اتباع النبي صلى اللّه عليه وسلم وصحبه الكرام فله من الخذلان بحسب تقصيره .

﴿ ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذْ هديتنا وَهَبْ لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهابُ ﴾ [آل عمران : ٨] .

تفسير القرآن الحكيم

الجزء الثاني

فضيلة الشيخ / محمد حامد الفقي (رحمه الله)

قول الله تعالى ذكره : ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ [الرعد : ١٨] .

(الاستجابة) : التحري للجواب والتهيؤ له ، وعبر بها عن الإجابة لعدم انفكاكها عنها ، يعني أنها إنما تقال للإجابة التي تكون عن تبصر وعلم بحقيقة ما يُدعى إليه وبعاقبته وما يستفاد منه من فوائد ، ويجني منه من ثمرات ، وهي تدل أيضًا على الإسراع في الإجابة وعدم التلكؤ في طاعة الداعي ، فالله تعالى يصفهم بأنهم سريعو الفهم لما يدعوهم الله إليه ؛ والتفقه فيه وتدبره مما يتلى عليهم من الآيات وما يضرب لهم من الأمثال ، فإذا فقهوا عن الله ذلك سارعوا إلى الإيمان والاتباع والطاعة ، ليسوا بلداء ولا متغافلين ولا متكاسلين ؛ لأنهم يعلمون أن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لا يدعوانهم إلا لما يحييهم الحياة الطيبة التي لا ضلال ولا شقوة فيها ، ولأنهم تجردوا عن التقليد الأعمى للآباء والشيوخ وعرفوا نعمة الله في السمع والبصر والفؤاد فشكروها بالانتفاع بها .

و ﴿ الحسنى ﴾ : قال ابن عباس رضي الله عنهما : هي الجنة ، وهي في اللغة تأنيث الأحسن ، وهي جامعة لكل المحاسن ، فهي المنفعة العظمى في الحسن ، قال ابن الأنباري : والعرب توقعها على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها المفروح بها ، ولذلك لم توصف في القرآن ولم تنعت بشيء ؛ لأنَّ ما

تعرفه العرب من أمرها يغني عن نعتها ، يدل على ذلك قول امرئ القيس :

فصرنا إلى الحسنى ورقّ كلامنا ،
ورُضْت فذلت صعبة أي إذلال

أراد : فصرنا إلى الأمر المحبوب المأمول ، فـ ﴿ الحسنى ﴾ هي المثوبة العظمى التي لا أنفع ولا أعظم ولا أحسن منها في الدنيا والآخرة ، وتطلق ﴿ الحسنى ﴾ على العمل الصالح والنية الطيبة والقصد الحسن في الدنيا ، كما حكى اللّه من قول المنافقين حين بنوا مسجد الضرار في المدينة واتخذوه ضرارًا وكفرًا وتفريقًا بين المؤمنين وإرصادًا لمن حارب اللّه ورسوله وحلفوا باللّه : ﴿ إن أردنا إلاّ الحسنى ﴾ [التوبة : ١٠٧] . ولم يكن قصدهم إلا السوأى .

وقد وصف اللّه كلمته وأسماءه بأنها : ﴿ الحسنى ﴾ ؛ لأنّها جمعت كل خير وكمال لائق باللّه سبحانه ، وكل الأعمال الصالحة والخيرات والأخلاق الكريمة والثواب والنعيم في الآخرة ، يستعمل القرآن فيه الإحسان والحسنة والأحسن والحسن ، وفي ضدها : السوء ، والسيئة ، والإساءة ، والسيئ ، والسوأى .

﴿ لافتدوا به ﴾ : الافتداء جعل أحد الشيئين بدلاً من الآخر ، ومفعول (افتدوا) محذوف تقديره أنفسهم ؛ أي لافتدوا بما في الأرض ومثله معه – إن كان مملوكًا لهم – أنفسهم ، ليخلصوا من العاقبة السوأى التي أعدت لهم مثوبة في الآخرة جزاءً وفاقًا .

و ﴿ سوء الحساب ﴾ : قال ابن عباس : لا تقبل لهم حسنة ، ولا يتجاوز لهم عن سيئة ، و﴿ الحساب ﴾ : ضبط الأشياء وإحصاؤها بالعدد ، ويريد اللّه تعالى منه ضبط الأعمال وإحصاءها بالعدد ، ثم سردها يوم القيامة على العبد بالدقة التامة ، بحيث لا يغيب ولا ينقص منها مثقال الذرة ، ثم مقابلتها بما يكافئها من المثوبة والجزاء ؛ فالذين آمنوا وأحسنوا في الدنيا أعمالهم يحاسبهم الحساب الحسن ويجزيهم بأحسن ما كانوا يعملون ، والذين أساءوا عقيدتهم وأعمالهم في الدنيا لهم سوء الحساب ، ويجزيهم بأسوأ ما كانوا يعملون .

قال اللّه تعالى في سورة « يونس » : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ۞ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من اللّه من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعًا من الليل مظلمًا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [يونس : ٢٦، ٢٧] ، وقال في سورة « الكهف » : ﴿ وأما من آمن وعمل صالحًا فله جزاءً الحسنى ﴾ [الكهف : ٨٨] ، وقال

في سورة « الأنبياء » : ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ [الأنبياء : ١٠١] أي ؛ عن النار ، وقال في سورة « النجم » : ﴿ ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ [النجم : ٣١] ، وقال في سورة « الليل » : ﴿ فأما من أعطى واتقى ۞ وصدق بالحسنى ۞ فسنيسره لليسرى ۞ وأما من بخل واستغنى ۞ وكذب بالحسنى ۞ فسنيسره للعسرى ﴾ [الليل : ٥-١٠] ، وقال في سورة « آل عمران » : ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبًا ولو افتدى به ﴾ [آل عمران : ٩١] ، وقال في سورة « المائدة » : ﴿ إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم ﴾ [المائدة : ٣٦] ، وقال في سورة « يونس » : ﴿ ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ﴾ [يونس : ٥٤] ، وقال في سورة « الزمر » : ﴿ ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعًا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ۞ وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ [الزمر : ٤٧، ٤٨] ، وقال في سورة « المعارج » : ﴿ يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه ۞ وصاحبته وأخيه ۞ وفصيلته التي تئويه ۞ ومن في الأرض جميعًا ثم ينجيه ۞ كلا ﴾ [المعارج : ١١-١٥] .

والآيات في السيئ والسوأى من العقائد والأعمال والأخلاق والجزاء كثيرة جدًا ، من أوضحها قول الله تعالى في سورة « النحل » : ﴿ قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين ﴾ [النحل : ٢٧] ، وفيها : ﴿ ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ﴾ [النحل : ٩٤] ، وقوله في سورة « الروم » : ﴿ ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون ﴾ [الروم : ١٠] ، وفي سورة « الرعد » : ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ [الرعد : ٢٥] ، وفي سورة « النمل » : ﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون ۞ أولئك الذين لهم سوء العذاب ﴾ [النمل : ٤، ٥] .

وقول الله تعالى : ﴿ ومأواهم جهنم ﴾ [الرعد : ١٨] ؛ أي مرجعهم الذي يلجئهم

اللّه إليه ولا مخرج لهم منه هو جهنم : ﴿ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ﴾ [السجدة : ٢٠] ، ﴿ لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ﴾ [فاطر : ٣٦] ، ﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب ﴾ [النساء : ٥٦] ، ﴿ إنه من يأت ربه مجرمًا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ﴾ [طه : ٧٤] ، ﴿ إنها لظى * نزاعة للشوى ﴾ – أي : جلدة الرأس وشعرها – ﴿ تدعو من أدبر وتولى * وجمع فأوعى ﴾ [المعارج : ١٥-١٨] ، ﴿ إن جهنم كانت مرصادًا * للطاغين مآبًا * لابثين فيها أحقابًا * لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابًا * إلا حميمًا وغساقًا * جزاءً وفاقًا ﴾ [النبأ : ٢١-٢٦] .

﴿ وبئس المهاد ﴾ ؛ بئس فعل جامد للذم ، والمهاد ؛ المكان الموطأ الممهد ، ومنه المهد ؛ لفراش الطفل الذي هيئ ومهد له ملائمًا وموافقًا لحاله ، فجهنم قد أعدها اللّه ومهدها وهيأها لأهلها ، وهي أقبح مهاد وأسوأ مأوى وأبأس مكان ، وأشقى منزل .

نسأل اللّه سبحانه وتعالى أن يجيرنا منها بفضله ورحمته ، وأن يبعدنا عن أعمالها وأهلها ، وأن يجعلنا من أهل الجنة بكرمه وإحسانه ، وأن يوفقنا لأعمالها ، ويحبب إلينا أهلها وكل ما يقرب منها ، وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وكل من تبعه بإحسان .

محمد حامد الفقي

مديرية الشئون الاجتماعية بالدقهلية
إدارة الجمعيات

شهادة

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بالدقهلية بأن جمعية أنصار السنة المحمدية بصدقا مركز تمى الأمديد قد تم شهرها تحت رقم ٨١٤ بتاريخ ١٩٩٧/٧/٥ م ، طبقًا للقانون ٣٣ لسنة ٦٤ م بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة واللائحة التنفيذية لذلك القانون .

تحريرًا في : ١٩٩٧/٧/٥ م

الغلو والتطرف في الفرق الإسلامية

المعتزلة

أ . د / سعيد مراد

لقد اختلفت الآراء وتعددت الاتجاهات حول مفهوم الاعتزال ؛ هل هو اعتزال سياسي ؟ أم اعتزال عن مباهج الحياة وزينتها ؟ أم اعتزال الفئة الضالة وأهل الفتنة ؟ أم أنه موقف فكري له أصوله وقواعده ؟

أضف إلى ذلك ؛ أن مفهوم الاعتزال تأثر إلى درجة كبيرة بموقف الأنصار والخصوم ما حدا بكل منهم أن يطلق على أصحاب الاعتزال من الألقاب والتسميات مما يتناسب مع الموقف الفكري لكل منهم ؛ وسوف نعرض لأشهر الآراء في النقاط التالية :

١– لفظ الاعتزال من حيث اللغة .

٢– لفظ الاعتزال من حيث الاصطلاح .

٣– ألقاب المعتزلة .

● المفهوم اللغوي للاعتزال :

عزل الشيء يعزله عزلاً ، وعزله فاعتزل ، وانعزل وتعزل : نحاه جانبًا فتنحى ، وقوله : ﴿ إنهم عن السمع لمعزولون ﴾ [الشعراء : ٢١٢] معنى لما رموا بالنجوم منعوا من السمع ، واعتزال الشيء وتعزله ، ويتعديان بمن وعن ، وقوله تعالى : ﴿ وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون ﴾ [الدخان : ٢١] ؛ أراد : إن لم تؤمنوا بي فلا تكونوا عليَّ ولا معي(١) .

● المفهوم الاصطلاحي :

نقصد بالمفهوم الاصطلاحي : اكتساب اللفظ دلالة لا تتطابق مع دلالته اللغوية ؛ لكنها لا تبعد عنه تمامًا ، بحيث تكون الدلالة اللغوية متضمنة في الدلالة الاصطلاحية مثل ؛ فقه بمعنى فهم ، هذا من حيث اللغة ، ومن حيث الاصطلاح نجد أنه قائم على الفهم .

ومن المؤكد أن الدلالة اللغوية للفظ الاعتزال كانت هي الدلالة السائدة في عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم اتساقًا مع ما ورد من آيات القرآن الكريم التي أشرنا إليها سابقًا .

وظل هذا المفهوم سائدًا ، إلى أن كانت الفتنة التي أعقبت مقتل عثمان ، رضي اللّه عنه ، ونشبت الحرب بين معسكر علي ومعسكر عائشة ، رضي اللّه عنها ، فيما يسمى بموقعة الجمل ، فظهر الاعتزال كموقف سلبي من ناحية عدم وجود نسق فكري إيجابي من ناحية احترام الدين والالتزام بقواعده ؛ حيث اعتزل كثير من أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الفتنة مثل ؛ الأحنف بن قيس (٣ق هـ – ٧٢هـ) ، (٥٠٨– ٦٨٣ م) ، وعبد اللّه بن عباس ، وغيرهم كثير ، وكانوا في موقفهم هذا أكثر حرصًا على عدم التورط في موقف يبعدهم عن جوهر الإسلام وحكمته .

إلاّ أن الأمر لم يستمر على هذا النحو ؛ وإنما أخذ شكلاً آخر على يد واصل بن عطاء (٨٠ هـ– ١٣١ ، ٦٩٩–٧٤٨م) ، وزميله وتلميذه عمر بن عبيد (٨٠ هـ – ١٤٤ هـ) ، حينما اعتزلا مجلس الحسن البصري (توفي ١١٠ هـ) ، واعتزلا قول الأمة على الحكم في مرتكب الكبيرة ، حيث اتخذ الاعتزال نسقًا فكريًا يعتمد على مقولات عقلية وتصورات ذهنية أشبه بالقضايا المنطقية الصورية ، وكان ذلك بداية المنزلق الخطر الذي جنح بالمعتزلة عن قواعد الدين الصحيح .

وسنعرض فيما يأتي مختلف الآراء والاتجاهات التي دارت حول المفهوم الاصطلاحي للفظ ، معقبين على كل منها في نهاية العرض .

لقد تعددت الآراء حول أصل كلمة الاعتزال ، حيث ذهب المؤرخون مذاهب شتى ؛ منهم من يرى أن التسمية ترتبط بالظروف السياسية ، ومنهم من يرى أنها ترتبط بلون من ألوان الزهد والعبادة والتقشف والعزوف عن الحياة الدنيا ، وآخرون يؤكدون أنها تتعلق بموقف ديني له أبعاد سياسية وبقضية جدلية أثيرت في مجلس الحسن البصري ، ويهمنا أن نعرض لكل تلك الآراء معقبين عليها باحثين عن الحقيقة فيها .

أما عن الرأي الأول الذي يرد التسمية إلى الظروف السياسية يستند إلى روايات كثيرة ؛ منها ما يذكره الطبري في مواضع كثيرة ؛ حيث يقول : أرسل قيس بن سعد (توفي ٦٠ هـ ، ٦٨٠ م) كتابًا إلى علي بن أبي طالب يقول فيه : باسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فإني أخبر أمير المؤمنين ، أكرمه الله ، أن قبلي رجالاً معتزلين قد سألوني أن أكف عنهم ، وألا أتعجل حربهم ، وأن أتألفهم فيما بين ذلك ، لعل الله ، عز وجل ، أن يقبل بقلوبهم ، ويفرقهم عن ضلالتهم ، إن شاء الله(٢) .

وفي موضع آخر يؤكد الطبري اعتزال القوم الحرب والقتال بين علي وعائشة فيقول : أما عن الأحنف بن قيس قال : والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين ، وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أقاتل رجلا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمرتموني ببيعته ، اختاروا مني واحدة من ثلاث خصال ؛ إما أن تفتحوا لي الجسر فألحق بأرض الأعاجم حتى يقضي الله ، عز وجل ، من أمره ما قضى ، أو أعتزل فأكون قريبًا .

وفي موضع ثالث يعرض لنا الطبري أبعاد الفتنة السياسية وموقف كثير من الناس منها ، فيقول : فخرج عبد الله بن عباس ، ومعه الأشتر (توفي ٣٧ هـ – ٦٥٧م) ، فقدما الكوفة ، وكلما أبا موسى الأشعري (٢١ ق هـ ٤٤ هـ ٦٠٢ – ٦٦٥م) ، واستعان عليه بأناس من الكوفة ، فقال للكوفيين : أنا صاحبكم يوم الجرعة ، وأنا صاحبكم اليوم ، فجمع الناس فخطبهم فقال : يأيها الناس ؛ إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين صحبوه في المواطن أعلم بالله ، جل وعز ، وبرسوله صلى الله عليه وسلم ممن لم يصحبه ، وإن لكم علينا حقًا ، فأنا مؤديه إليكم .

كان الرأي ألا تستخفوا بالله ، عز وجل ، ولا تجترئوا على الله ، عز وجل ، وكان الرأي الثاني أن تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتردوهم إليها حتى يجتمعوا ، وهم أعلم بمن تصلح له الإمامة منكم ، ولا تكلفوا الدخول في هذا ، فأما إذا كان ما كان فإنها فتنة صماء ، النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان فيها خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خير من الراكب ، فكونوا جرثومة من جراثيم العرب ، فاغمدوا السيوف ، وانصلوا الأسنة ، واقطعوا الأوتار ، وأووا المظلوم والمضطهد حتى يلتئم هذا الأمر وتنجلي هذه الفتنة .

ويقول أبو الفداء : (وسموا هؤلاء المعتزلة ؛ لاعتزالهم بيعة علي) في هذه العبارة تصريح بأن كلمة المعتزلة أطلقت عليهم .

ومن الجدير بالذكر أن ابن كثير يذكر من النصوص ما يؤيد ذلك الاتجاه ؛ حيث يقول : ولما فرغ علي من أمر الجمل ، أتاه وجوه الناس يسلمون عليه ، فكان ممن جاءه الأحنف بن قيس في بني سعد ، وكانوا قد اعتزلوا القتال ، فقال له علي : تربع – يعني بنا – فقال : ما كنت أراني إلا قد أحسنت وبأمرك ، كان ما كان يا أمير المؤمنين ، فارفق فإن طريقك الذي سلكت بعيد ، وأنت إلى غد أحوج منك إلى أمس فاعرف إحساني ، واستبق مودتي لغد ، ولا تقل مثل هذا ، فإني لم أزل لك ناصحًا .

ولعل ذلك ما دفع أحمد أمين إلى القول : إنا بالرجوع إلى كثير من كتب التاريخ نرى أن كلمة اعتزال ومعتزلة واعتزل استعملت كثيرًا في صدر الإسلام في معنى خاص ، وهو أن يرى الرجل فتنين متقاتلتين أو متنازعتين ، ثم هو لا يقتنع برأي أحدهما ، ولا يريد أن يدخل في القتال والنزاع بينهما ؛ لأنه لم يكن له رأي ، أو رأى أن كليهما غير محق ، ومن ذلك ما نراه من إطلاق المؤرخين هذه الكلمة كثيرًا على

الطائفة التي لم تشترك في القتال بين علي وعائشة رضي الله عنهما في حرب الجمل ، وعلى الذين لم يدخلوا في النزاع بين علي ومعاوية .

ويعرض الدكتور النشار ذلك الرأي فيقول : إن السبب في أنهم اعتزلوا أو أن هذا الاسم أطلق عليهم هو عدم موافقتهم على انتقال الخلافة إلى معاوية ، فأصابتهم حسرة مريرة أن يسلب الحق أهله ، فابتعدوا عن الحياة السياسية ، ولجأوا إلى العبادة ، إنهم كانوا يمثلون روح المجتمع الإسلامي في موقف سلبي .

كذلك يذكر نيلينو هذا الرأي فيقول : يذكر أبو الفداء في أخباره خاصًّا بسنة ٣٥ هـ أسماء بعض الأشخاص الذين لم يريدوا مبايعة علي ، ولو أنهم ليسوا من شيعة عثمان ، ويضيف إلى ذلك قوله : وسموا هؤلاء المعتزلة لاعتزالهم بيعة علي ، فمن هذا الحين أصبحت هذه التسمية علمًا على حزب سياسي كما هي الحال في حزب الخوارج .

* من كل ما سبق نستطيع أن نقول : إن كلمة الاعتزال أطلقت على فئة خاصة قبل مدرسة الحسن البصري بنحو مائة عام في الصدر الأول للإسلام ، كما أن هذا الاسم أطلق على الذين اعتزلوا الفتنة ولم يشاركوا في حرب الجمل بين علي وعائشة ، ولم يشتركوا في وقعة صفين بين علي وأنصاره ، ومعاوية وأنصاره ؛ وذلك الموقف سياسي في مبناه وفي معناه .

والرأي الثاني يربط بين التسمية بالاعتزال وبين مسلك الزهد والعبادة والتقشف والعزوف عن الحياة الدنيا ، وقد تزعم هذا الرأي جولدتسيهر ، وسانده في هذا الرأي هورتين ، فجولدتسيهر يشير كما يشير المؤرخون بمناسبة واصل بن عطاء وزميله عمرو بن عبيد ، ومعتزلين آخرين كذلك ، إلى ميولهم الصوفية وزهدهم ، أي إلى بعدهم عن زخرف الدنيا وشهواتها ، وهو يؤكد القول بذلك ؛ حيث يقول : إن البذور الأولى لهذا المذهب كانت دوافع صادرة عن التقوى والتعبد ، وكان الباعثون على هذه الحركة رجالاً متعبدين زهادًا معتزلين ، ثم اتصلت الحركة بالدوائر العقلية فاتخذت شيئًا فشيئًا موقف المعارضة يازاء المعتقدات الدينية السائدة .

أما الرأي الثالث الذي يرد التسمية بالاعتزال إلى موقف ديني له أبعاد سياسية وبقضية جدلية أثيرت في مجلس الحسن البصري يكاد يجمع على القول به مؤرخو الفرق الإسلامية .

يقول الشهرستاني : دخل واحد على الحسن البصري فقال : يا إمام الدين ؛ لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة ، وهم وعيدية الخوارج ، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان ؛ بل العمل على مذهبهم ليس ركنًا من الإيمان ، ولا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهم مرجئة الأمة ، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادًا ؟ فتفكر الحسن في ذلك ، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء : أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق ، بل هو في منزلة بين المنزلتين ، لا مؤمن ولا كافر ، ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن ، فقال الحسن : اعتزل عنا واصل ، فسمي هو وأصحابه معتزلة .

ويرى الإسفراييني نفس الرأي ؛ إذ يقول : والمسلمون كانوا في فساق أهل الملة على قولين ، فالصحابة والتابعون وجميع أهل السنة يقولون : إنهم مؤمنون موحدون بما معهم من الاعتقاد الصحيح فاسقون عصاة بما يقدمون عليه من المعصية ، وإن أفعالهم بالأعضاء والجوارح لا تنافي إيمانًا في قلوبهم .

وكان الخوارج يقولون : إنهم كفرة مخلدون في النار مع الكفار . فخالف واصل القولين وقال : إن الفاسق لا مؤمن ولا كافر ، وإنه في منزلة بين المنزلتين ، وحكمهم في الآخرة أنهم مخلدون في النار مع الكفار ، وأن من خرج منهم من الدنيا قبل أن يتوب لم يجز الله تعالى أن يغفر له . فخالف بهذا القول جميع المسلمين واعتزل دين المسلمين . فطرده الحسن البصري من مجلسه ، فاعتزل جانبًا مع أتباعه ، فسموا معتزلة لاعتزالهم قول المسلمين .

ويتفق البغدادي معهما في نفس الاتجاه ، فيقول : فلما ظهرت فتنة الأزارقة بالبصرة والأهواز واختلف

الناس عند ذلك في أصحاب الذنوب على الوجوه الخمسة التي ذكرناها ، خرج واصل بن عطاء عن قول جميع الفرق المتقدمة ، وزعم أن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر ، وجعل الفسق منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان ، فلما سمع الحسن البصري من واصل بدعته هذه التي خالف بها أقوال الفرق قبله ، طرده من مجلسه ، فاعتزل عند سارية من سواري مسجد البصرة وانضم إليه قرينه في الضلالة عمرو بن عبيد بن باب كعبد صريخة أمه ، فقال الناس يومئذ فيهما : إنهما قد اعتزلا قول الأمة ، وسمي أتباعهما من يومئذ معتزلة .

ويقف أحمد أمين موقف المعارض لهذا الرأي ، فبعد أن يعرض لآراء كل من ابن المرتضي والشهرستاني وابن قتيبة وابن رستة والشربيني وابن خلكان والمسعودي والسمعاني يقول : وهذا الرأي ضعيف من جملة وجوه :

– **أحدها** : أن انتقال واصل أو عمرو بن عبيد من حلقة في المسجد لأخرى ليس بالأمر الهام الذي يصح أن تلقب به فرقه ، والأوجه أن تكون التسمية متعلقة بالجوهر لا بالعرض .

– **ثانيها** : اختلاف الرواة في الرواية ، فبعضهم ينسب حادثة الانفصال إلى عمرو بن عبيد ، وبعضهم ينسبها إلى واصل ، وبعضهم ينسب هذه التسمية إلى الحسن البصري ، وبعضهم ينسبها إلى قتادة ، وهذا من غير شك يضعف الرواية ويجعلها محلاً للنقد .

– **وثالثها** : أن كثيرًا من الكتب تتكلم عن شخص فتقول : إنه كان يقول بالاعتزال ، وهو من أهل الاعتزال ، وهذا يدل على أن الاسم يطلق على مذهب ذي مبادئ لا مجرد انفصال من مجلس إلى آخر ، وإن الاعتزال معنى من المعاني لا حركة جسمية .

ولنا مع هذه الاعتراضات وقفة تتمثل في الرد على الأوجه الثلاث التي عرضها أحمد أمين .

– **أولها** : الانتقال ليس مجرد انتقال من حلقة إلى أخرى ، أو من مكان إلى مكان ، وإنما الأمر تعلق بموقف فكري جوهري له أبعاده ومراميه .

– **ثانيها** : لقد دار اختلاف حول الأشخاص ؛ لكن كلهم متفقون على جوهر الانتقال ، أي أن الحادثة يجمعون عليها ، والأكثر من ذلك أن أشهر الأقوال وأقربها إلى الصحة هو القول بأن أمر الواقعة منسوب إلى واصل بن عطاء فيما يشبه الإجماع .

– **ثالثها** : من المعلوم أن الانتقال سواء قام به واصل أو عمرو من مجلس الحسن البصري إنما هو نتج عن موقف فكري وليس انتقال رغبة في الانتقال ذاته ، فقد كانت حلقة الحسن البصري موضع ثقة أصحاب الفكر في هذا العصر .

من الأهمية بمكان أن نستعرض الآراء الثلاثة التي تتناول أصل التسمية من منظور نقدي فنقول :

❋ الرأي الأول :

الذي يرجع أصل التسمية إلى الظروف السياسية الناتجة عن اعتزال جماعة الحرب أو الفتنة لا نوافق عليه ولا نعتقد بصحته ، وذلك للأسباب الآتية :

١– أصحاب هذا الرأي أخذوا مفهوم الاعتزال بمعناه اللغوي الاشتقاقي : عزل الشيء يعزله عزلا وعزله فاعتزل ، وانعزل وتعزل نحاه جانبًا فتنحى ، وقوله تعالى : ﴿ إنهم عن السمع لمعزولون ﴾ [الشعراء : ٢١٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون ﴾ [الدخان : ٢١] .

أراد ؛ إن لم تؤمنوا بي فلا تكونوا عليّ ولا معي ، وليس بالمفهوم الاصطلاحي ، حيث اصطلح على إطلاق اللفظ على جماعة تقول بأصول خمسة من لم يقل بها ليس منهم .

٢– أننا لو قلنا بما قالوا لأدخلنا كثيرين ممن لا يعتقدون بما يعتقد به المعتزلة ؛ بل يختلفون معهم في المنهج .

❋ الرأي الثاني :

ذلك الرأي الذي يربط بين التسمية بالاعتزال وبين مسلك الزهد والعبادة والتقشف والعزوف عن الحياة الدنيا ، والذي قال به جولدتسيهر وآخرون لا نوافق عليه أيضًا ، وذلك للأسباب الآتية :

١– إن الزهد والتقشف لون من ألوان السلوك الذي دعا إليه الإسلام وحث عليه ، قال تعالى : ﴿ كلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ [الأعراف :

٣١] ، وقال عليه السلام : « ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك »(٣) .

وعلى ذلك ؛ فعلى المسلم أن يلتزم هذا السلوك ، فإذا أخذنا برأي جولد تسيهر لصار كل الزهاد معتزلة ، والأمر بخلاف ذلك .

٢– إن الزهد سمة أساسية من سمات التصوف ؛ بل مرحلة من مراحل التصوف الإسلامي ، ومن الثابت أن البون شاسع بين التصوف والاعتزال ، ويكفي أن نقرر في هذا الصدد أن المتصوفة صفاتية ، أي مثبتون للصفات ، لا يقولون بحرية الإرادة الإنسانية ، يقولون بقدم القرآن ، مثبتون للرؤية في الدنيا والآخرة ، والمعلوم من أمر الاعتزال أنه على نقيض ذلك .

على هذا نقول : إن القول بأن الاعتزال مشتق من اعتزال أمور الدنيا عند الصوفية ، قول لا يستند إلى دليل ، وبعيد كل البعد عن الصحة .

✽ الرأي الثالث :

ذلك الرأي الذي يرد التسمية بالاعتزال إلى موقف ديني له أبعاد سياسية وبقضية جدلية في مجلس الحسن البصري ، نعتقد من جانبنا أنه أقرب الآراء إلى الصحة ، يساندنا في ذلك كل مؤرخي الفرق الإسلامية على اختلاف انتماءاتهم الفكرية ؛ لكن من الذي أطلق عليهم هذا الاسم ؟ تختلف الروايات وتتعدد حول هذا الموضوع .

✽ أول هذه الروايات : تؤكد على أن الذي أطلق هذا الاسم عليهم هو الحسن البصري عندما قال واصل بالمنزلة بين المنزلتين ، قال الحسن : اعتزل عنا واصل ؛ وبذلك يكون الاسم اسم ذم .

✽ والرأي الثاني : يرى أن أهل السنة هم الذين دعوهم معتزلة ؛ لاعتزالهم قول الأمة بأسرها في مرتكب الكبيرة من المسلمين وتقريرهم أنه لا مؤمن ولا كافر ؛ بل هو في منزلة بين منزلتين ؛ الإيمان والكفر .

✽ الرأي الثالث : يرى أن الذي أطلق عليهم هذا الاسم هو قتادة بن دعامة السدوسي ، إذ دخل مسجد البصرة ، وكان أكمه ، فإذا بعمرو بن عبيد ونفر معهم فأمهم وهو يظن أنها حلقة الحسن البصري ، فلما عرف أنها ليست له قال : إنما هؤلاء معتزلة ، ثم قام عنهم ، ومنذ ذلك الحين سموا معتزلة .

الآراء الثلاثة السابقة تنسب إلى خصوم المعتزلة ، وعلى ضوء هذا نستطيع القول إن تسميتهم بالمعتزلة ذمًا لهم . وهناك من يرى أن المعتزلة هم الذين أطلقوا على أنفسهم هذا الاسم .

يقول ابن المرتضى : إن المعتزلة هم الذين أطلقوا على أنفسهم هذا الاسم لا غيرهم ، وإنهم لم يخالفوا الإجماع ؛ بل عملوا بالمجمع عليه في الصدر الأول من الإسلام ، وإذا كانوا قد خالفوا شيئا فإنما الأقوال المحدثة والمبتدعة واعتزلوها .

✽ ألقاب المعتزلة :

لقد اشتقت معظم ألقاب المعتزلة من الأصول الخمسة التي قالوا بها ، حيث إن الأصول الخمسة تعتبر بمثابة النظرية الفكرية التي تنطلق منها هذه الفرقة .

يقول الخياط : وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة ؛ التوحيد ، والعدل ، والوعد ، والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإذا اكتملت فيه هذه الخصال فهو معتزلي .

ويقول الدكتور النشار : وقد سمي المعتزلة بهذه الأصول : فيقال لهم : أهل العدل والتوحيد ، الموحدة والعدليون ، والموحدون ، وأهل الوعد والوعيد ، والوعيدية والمنزلية ، والمعتزلة أي اعتزال الفاسق للمؤمن والكافر ، فهو في منزلة بين منزلتين ؛ إما عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد قيل لهم أيضًا : أهل الحق .

إلى اللقاء ، إن شاء الله تعالى ، في الحلقة القادمة مع القدرية ، وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) ابن منظور : « لسان العرب » (ج١٣ ص ٤٦٧) .

(٢) الطبري : « تاريخ الرسل والملوك » (ج٤ ص٥٥٤) .

(٣) البخاري كتاب العلم (ص١٠) .

احذروا الغيبة فإنها منتنة

بقلم الشيخ / عبده أحمد الأقرع

أخي في الله ؛ اعلم هداني الله وإياك سبيل الرشاد أن الغيبة من الأمراض التي انتشرت في المحافل والمجالس ، حتى صارت المجالس لا تخلو ولا تطيب إلا إذا ذكر فيها الناس بما يكرهون ، ألا فاعلم أن الله ، تبارك وتعالى ، قد نهى عن الغيبة ، وصوَّرها بأقبح صورة لينفر ذوي الطباع السليمة منها ، فقال تعالى : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضًا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه ﴾ [الحجرات : ١٢] أي ؛ كما تكرهون هذا طبعًا ، فاكرهوا ذاك شرعًا ، فإن عقوبته أشد من هذا ، ففي حجة الوداع وقف النبي صلى الله عليه وسلم خطيبًا جموع المسلمين الوافدة من شتى أقطار العالم فقال : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ؛ ألا هل بلَّغت »(١) .

وحذر ، عليه الصلاة والسلام ، من الغيبة فقال : « يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه ؛ لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع اللّه عورته ، ومن تتبع اللّه عورته ، يفضحه ولو في جوف بيته »(٢) .

فلننظر بتدبر وتمحص ، ولننظر بعين الرهبة والتعظيم لأوامر اللّه تعالى ، وأوامر رسوله صلى اللّه عليه وسلم ، إن حرمة الغيبة عند اللّه تعالى كحرمة يوم النحر ، في شهر ذي الحجة في منى ، فهل علمتم ، إخواني في اللّه ، حرمة عرض المسلم ؟ فهل علمتم مدى حرمة عرض المسلم يا أصحاب الغيبة ، ويا آكلي لحوم المسلمين ؟

اللّه أكبر ، أين العقول ؟ اللّه أكبر ، أين الإيمان الذي يعمر النفوس ؟ أين الإيمان الذي يمنع الاستطالة في أعراض المسلمين ؟ وعن أنس بن مالك ، رضي اللّه عنه ؛ أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : « لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم »(٣) .

أين ذهبت عقول هؤلاء المغتابين ؟ كيف بهم ينهشون أعراض المسلمين ويأكلون لحومهم ، وهم يسمعون هذا الحديث ؟ فليبشروا بأظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم ، إنها أظفار فاقت أظفار الوحوش الضارية ، ليزدادوا عذابًا ، جزاءً وفاقًا على أفعالهم القبيحة ، وأعمالهم السيئة ؛ فأقلوا أو استكثروا أيها المغتابون بعد هذا من غيبتكم .

ولقد عظم اللّه ورسوله الغيبة تعظيمًا ؛ حتى قالت عائشة ، رضي اللّه عنها : قلت :

يا رسول الله حسبك من صفية كذا وكذا – قال بعض الرواة: تعني قصيرة – فقال صلى الله عليه وسلم: «لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته»(٤). ومعنى «مزجته»: خالطته مخالطة يتغير بها طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبحها.

اللّه أكبر؛ كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته، كلمة واحدة تفعل هذا الفعل وتؤثر هذا التأثير، فما أدراك بما يفعله المغتابون اليوم وألسنتهم لا تكلّ ولا تملّ مما يفعلون، أيّ بحار تمزج كلماتهم لو مزجت بها، وأي مياه تنتن؟ وأي طيب عيش يفسدون؟

والمغتاب ينتن الريح؛ يشهد لذلك ما جاء في الحديث؛ عن جابر، رضي الله عنه، قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فهبت ريح منتنة، فقال رسول الله صلى اللّه عليه وسلم: «أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين»(٥).

كما أن المغتاب جبان ضعيف الشخصية؛ لأنّه لا يستطيع المواجهة، ولا يقوى على المصارحة، ولو كان شجاعًا لذكر المرء بما فيه أمامه، وبين له بالحسنى صفاته وأفعاله، لماذا لا يكون الواحد منا شجاعًا يواجه صاحب العيب بعيبه؟ فيكون مأجورًا مشكورًا، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، محققًا في نفسه قول اللّه تعالى: ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى اللّه وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين ﴾ [فصلت: ٣٣].

كما أن المغتاب ناقص الإيمان، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»(٦).

فيا أيها المغتاب أأحببت لأخيك ما أحببت لنفسك من الخير عندما اغتبته؟ أتحب أن يذكرك أحدٌ من خلفك بما تكره؟ فكيف تفعل ما تكره أن يفعل بك؟ وسبحان اللّه القائل: ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا ﴾ [الكهف: ١٠٣].

فترى المغتاب يقول: نحن نذكر ما فيه من خلفه لصالحه ولمنفعته التي يجهلها، وربما قال بعضهم: نفعل ذلك حرصًا على المصلحة العامة، فاستطالوا بذلك على أعراض إخوانهم، فلهؤلاء نقول: إن العمل الذي يُعمل ينبغي أن يكون مشروعًا، ولا يكفي للنجاة من عذاب اللّه تعالى أن يحسن المرء نيته وحدها ويترك ما سوى ذلك، فالمشركون – كما يزعمون – كانت نواياهم طيبة جدًّا، وجاء بيان هذا في القرآن العظيم، قال اللّه تعالى عن المشركين: ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى اللّه زلفى ﴾ [الزمر: ٣]، غير أن تلك النية الطيبة النبيلة – وهي التقرب إلى اللّه زلفى – لم تكن لتمنع الرسول صلى اللّه عليه وسلم وأصحابه الكرام، رضي اللّه عنهم، من قتالهم، والعمل الصالح لنية تحقيق مصلحة الفرد والجماعة لا يكون بغيبة الناس ونشر أسرارهم، ثم إنه لو كانت الدعاوى صادقة بحسن النية لصدق العمل والأسلوب، ويتم ذلك بالتحدث أمام الشخص بالحكمة والموعظة الحسنة، وأمره بالحسنى أن يستجيب لتعاليم الإسلام، واجتناب الهوى، وربما تكررت النصيحة والموعظة، فإن لم تر نفعًا من هذا، فابحث عن ناصح آخر، فلعلك لم توفق في الأسلوب والطريقة، واطلب من هذا الناصح أن يُسر ويكتم ما ذكرته عن ذلك الشخص، وليتخير مختلف الأساليب النافعة حسب الحاجة والظروف، فقد يكون التوجيه بأسلوب مباشر أو غير مباشر، فإن لمست أن صاحب العيب لم يترك عيبه وذنبه وحتى بعد تكرار الذكرى، فما عليك إلا أن تترك هذا الرجل الذي أسر ذنبه ولا تفضح أمره، وإلا تفعل حققت كثيرًا من الفتن في العالم الإسلامي؛ منها مخالفة النصوص الآمرة بالستر،

ومنها ؛ التسبب في تعميم الشك وتعميقه في خُلق المسلمين ، وعدم الثقة بخيارهم ، ومنهـا ؛ اشتغال المسلمين بغيبة بعضهم بعضًا وانتشار الأحقاد بينهم ، وانشغالهم عن العمل بالأوليات التي تفرج كروبهم وكروب الأمة ، ومنها ؛ تشجيع صاحب العيب والذنب المسر بذنبه على المجاهرة ، فإن هذا الشخص ربما أضحى ببعض هؤلاء الذين نالوا منه في غيبته ، فأصبحت الحالة كما قال الشاعر :

لا نسب اليوم ولا خلةٌ
اتسع الخرق على الراقع

وترى آخر يقول : إنما أذكره بما فيه لا أتقول عليه ، فله نقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : ما الغيبة ؟ فقال : « ذكرك أخاك بما يكره » ، قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته »(٧) .

فيا أخي الكريم : ليتفكر كل منا في نفسه ، مَنْ منا أوتي العصمة ؟ مَن منا حمي من الخطأ والزلل والذنب والعيب ؟ واعلم أخي في الله ، هداني الله وإياك ، أنه يتعين على من سمع غيبة أخيه أن يردها وينهى قائلها ، وحسبه في ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة))(٨) .

وقوله عليه السلام : « من ذب عن عرض أخيه الغيبة كان له حجابًا من النار »(٩) .

وإلا يفعل كان شريكًا في الإثم كالمغتاب تمامًا ، قال الله تعالى : ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها ويُستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذًا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعًا ﴾ [النساء : ١٤٠] .

فاتق الله يا أخي ، وإياك وأعراض الناس ، فقد قيل :

إذا شئت أن تحيا سليمًا من الأذى
وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرئ
فكلك عورات وللناس ألسن

وحسبك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أتدرون ما المفلس ؟ » . قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : « إن المفلس من آمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار »(١٠) .

وفي هذا يقول القائل :

يشاركك المغتاب في حسناته
ويعطيك أجري صومه وصلاته

حينذاك يعض المغتاب على يديه يقول : ﴿ يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ۝ يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانًا خليلاً ۝ لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾ [الفرقان : ٢٧ - ٢٩] .

فيا أخي في الله : « أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك »(١١) .

---

(١) متفق عليه .
(٢) ((صحيح الجامع)) (٧٨٦١) .
(٣) أبو داود (٤٨٧٨) .
(٤) أبو داود (٤٨٧٥) .
(٥) ((غاية المرام)) (٤٢٩) .
(٦) متفق عليه .
(٧) مسلم ٢٥٨٩ .
(٨) ((صحيح الترغيب والترهيب)) لشيخنا الألباني .
(٩) ((صحيح الجامع)) (٦١٣٩) .
(١٠) مسلم (٢٥٨١) .
(١١) الترمذي (٢٤٠٨) .

معرض ابن تيمية الثاني

زوروا

يسر مكتبة ابن تيمية أن تقيم معرضها الثاني بعون الله تعالى في مقرها المعروف :

بـ ٢٥ شارع أبو عميرة بالطالبية بالهرم ☎ : ٥٨٦٤٢٤٠

وذلك بعد عصر الجمعة ١٤١٨/٤/٢٥ هـ الموافق ١٩٩٧/٨/٢٩ م وينتهي في ١٤١٨/٥/٣٠ هـ الموافق ١٩٩٧/١٠/٢ م

وفي الإسكندرية قريبًا من مسجد الفتح بمصطفى كامل ، والذي سيبدأ بعد عصر الجمعة ١٤١٨/٦/٢٤ هـ الموافق ١٩٩٧/١٠/٢٤ م .

وذلك لمدة أسبوعين ، على أنه سيكون بالمعرض الكتب المستعملة والمخفض سعرها بكم هائل منقطع النظير . وكذلك الكتب التي صدرت حديثًا ، ولا سيما دور النشر السعودية . كما يسر المكتبة أيضًا أن تقدم للقراء الكرام لأول مرة كتابًا عن فضيلة الشيخ العلامة / عبد الرزاق عفيفي العالم الأصولي فقيه زمانه ، ساعد في جمع أوراقه لجنة من كبار العلماء .

والله الموفق .

إنا للّه وإنا إليه راجعون

تحتسب جماعة أنصار السنة المحمدية عند اللَّه تعالى رجلاً من أخلص رجالها وداعية من أصدق دعاتها ، وهو الشيخ عدلي المرشدي ، واسمه : علي عدلي حسن المرشدي ، من مواليد ١٩١٥/٢/١٠ بكفر سعد محافظة دمياط ، وقد توفي يوم السبت ١٩٩٧/٦/٢٢ ، ١٧ صفر سنة ١٤١٨ هـ بعد صلاة العشاء عن عمر جاوز ٧٢ عامًا .

والشيخ عدلي المرشدي طراز فريد في جماعة أنصار السنة المحمدية ، فقد بذل جهدًا كبيرًا في تعليم نفسه ، وكان جهاده في نشر الدعوة في البلاد مضرب المثل ، فقد كان رحمه اللَّه يرتدي في خطبة الجمعة زي الشيوخ ويحرص على أن يكون له سمْتٌ حسن ، ولقد كان فوق كونه عف اللسان كان فصيحًا في خطبه ، بل إنه كان يكتب خطب الجمعة لغيره ، وقد دفعه حبه لدعوة التوحيد أنه كان يجمع الراغبين في تعلم الخطابة ويشرح لهم كيف يصبحون خطباء ، وقد وفقه اللَّه تبارك وتعالى في تعليم عدد من دعاة الجماعة ، منهم على سبيل المثال ؛ الشيخ أحمد طه نصر ، الذي كون معه في الأربعينيات من هذا القرن فرعًا يسمى فرع الجماميز قريبًا من مسجد السيدة زينب ، نشر من خلاله دعوة التوحيد ، وحارب البدع والموالد ومواكب الصوفية .

ولما انتقل إلى دار السلام كان همه الأول إنشاء فرع لجماعة أنصار السنة بدار السلام ، ظل رئيسًا له حتى يوم وفاته ، وقد أسس هذا الفرع سنة ١٩٧٩ م ، كما لا أنسى أنه كان هو والشيخ محمد صالح سعدان سندًا قويًا للدعوة في فرع المنيرة بالقصر العيني ، واللَّه نسأل أن يجعله مع سلف هذه الجماعة ، ومع الصديقين والشهداء والصالحين .

وكتبه / فتحي عثمان
وكيل الجماعة

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥هـ ١٩٢٦م

ومن أهدافها:

١- الدعوة إلى التوحيد الخالص من جميع الشوائب، وإلى حب الله تعالى حبا صحيحا صادقا يتمثل فى طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا صحيحا صادقا يتمثل فى الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

٢- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين القرآن والسنة الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

٣- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدة وعملا وخلقا.

٤- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم والحكم بما أنزل الله فكل مشرع غيره -فى أى شأن من شئون الحياة- معتد عليه سبحانه، منازع إياه فى حقوقه.

تلقى بدار المركز العام للجماعة محاضرات دينية
مساء الأحد والأربعاء من كل أسبوع